الى القارئ

هــذه حــالنا

إن المأساة التى يعيشها اليوم الشرق الاوسط والعالم الثالث بصفة عامة وتنازع العمالقة الكبار النفوذ والتفوق على ربوعنا بواسطة المذاهب والأتباع يرجع سببها أولا الى تذبذب حضارى ناتج بدوره عن اخفاق تربوى جعل الأجيال الصاعدة ممزقة بين جاذبية التقليد والجمود ولو ظهرا فى مظهر التعالى على الحضارة الغربية والتحدى لها وبين الانبهار بالعصر ، أى بالغرب ، والكلف بمذاهبه شبه السائدة من ماركسية وهيكلية وعقلانية وعلموية أى الى تقليد من نوع آخر ينتحل المعاصرة والعلم ٠

وتتجلى هذه الظاهرة فى الجدل القائم حول محتوى بعض مواد التعليم الثانوى والعالى مثل الفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع ٠٠٠ ويدعى كل فريق التمسك بالموضوعية ويؤكد انه لا يتجاوز تقرير بعض الحقائق الناصعة المستقلة عن العواطف والرغبات والنزعات أى الحقائق العلمية أو الاقتصادية أو الاجتماعية الثابتة ٠٠٠ بينما يحرص أكثرهم فى الواقع على النجاح فى نوع من « التبشير » الايديولوجى والتخفيف من حدة حيرة الشباب بادخالهم أفواجا فى هيكلهم المذهبى المنيع ٠

وبينما يهيم بعض « أساتذتنا » فى عتمة هذا الضلال أو التضليل الايديولوجى فيستندون ـ كسالى ـ الى وسائد المذاهب السائدة ، ويجترون مقدمات ونتائج بعض النظريات الجاهزة فى نشوة الطفل يتمزز الحلوى ، أو العاشق الولهان يتشمم شذا زهور المعاصرة والتقدم والتقدمية ، يقاسى المفكرون فى الدول المتقدمة الذين لقنوهم سابقا نظرياتهم وبهروهم بأدلتهم وأثروا فيهم أيما تأثير ٠٠٠ أقسى الأزمات الروحية والعقائدية بعد أن ظنوا أنهم ارتفعوا عن حضيض التقاليد الى يفاع الاستبصار وانجلى لهم لباب الحق ؟ فهذا المفكر المناضل الملتزم « موريس كلافيل » ، المبرز فى الفلسفة والناقد الفرنسى الشهير الذى شارك فى حركة المقاومة ضد الاحتلال الالمانى وعمل فى صفوف الحزب الشيوعى ردحا من الزمن وتعاطف مع حركة ماى 1968 الطالبية الثورية ٠٠٠ ينشر منذ حوالى شهرين كتابا بعنوان « ما أؤمن

به » (1) يشهر فيه بطغيان بعض الأسماء مثل نيتشـى وفرويـد ومـاركس وسارتر... على التفكير المعاصر وتسلط نظرياتهم على الأجيال الصاعدة ، بل يندد باستبداد العلمانية على الفكر والعقيدة رغم شديد تمسكه بالعلم ، مؤكدا أن الايمان بالله وبالقيم الروحية من الأشياء التى لا يمكن للعقل أن يدلل عليها بالحجة والمنطق ، وإنما هى تنكشف انكشافا بنور يقذف فى الصدر (2) .

ويعيب « كلافيل » على رجال الكنيسة وخاصة القساوسة الشبان انبهارهم بالماركسية ، وسعيهم الى التوفيـق بين ما جاء فى الأنجيـل وبين ما ينـادى به الشيوعيون الذين أوهموهم - وأوهموا غيرهم - بأنهم انفردوا بالدفـاع عن المعذبين فى الأرض واختصوا بالنضال من أجـل العـدالة الاجتمـاعية ، فشعروا إزاءهم - كما شعر غيرهم - بمركبات شتى وانضموا إليهم ، فصاح فيهم هذا الكاتب : « إنكم تخشون أن تكونوا آخر المسيحيين فى هذا العصر وستكونون آخر الماركسيين فى خاتمة المطاف ! » .

ومما يلفت النظر أن « كلافيل » ينادى بفصـل شؤون الدنيا عن شؤون الدين ويحذر من مغبة الاعتقاد بأن العقل قادر على الاحاطة بكل شيء والتدليل على كل شيء ويرى أن الكهنوت أساء للدين المسيحى عندما حـاول تأييـده بالحجج الفلسفية والتوفيق بينه وبين ما قاله افلاطـون او ارسطـو ونـادى بضرورة تطهير العقيدة - لا بواسطة الفلسفة كما ذهبت الى ذلـك سيمـون (Simone Veil) - بل من الفلسفة !

ومما يجدر بالملاحظة أن الغزالى عاب هو أيضا منذ حوالى تسعة قرون على الفقهاء وعلماء الكلام والفلاسفة محاولاتهم عقلنة الدين وسعيهم الحجاج عن القواعد الايمانية بالأدلة العقلية ، إذ ما ثبت بالعقل فبالعقل ينقض !

والخلاصة أن « كلافيل » اليسارى بل المتطـرف فى اليسـارية فى الوقت الذى يعبر فيه عن إيمانه بالعلم والطرائق الموضوعية للسيطرة على الواقـع ، ويناضل من أجل العدالة الاجتماعية وينسجم مع ثـورة الشبـاب الطـالبى والعمالى من أجل الغد الأسعد ، يضع حدودا للمعـرفة التى يتيحهـا العقـل

---

(1) Maurice Clavel - Ce que je crois (Grasset) - 1975

(2) راجع فى هذا الصدد المنقذ من الضلال لأبى حامد الغزالى واذكر الحديث النبوى : « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها » .

ويستشف بالحدس ونور الصدر الحقائق المطلقة التى من شأنها ، فى نظره ، أن تشفى غلة الانسان من شوقه الى المطلق وذلك بعد أن انبهر سنوات طويلة ببريق المذاهب الرائجة وفى مقدمتها الوجودية والماركسية ٠

وهذا « روجى قارودى » أحد أئمة الحزب الشيوعى الفرنسى وإمام الطلبة الماركسيين منذ أكثر من ربع قرن بفرنسا يوم أن كنت طالبا للعلم فى ربوعها ، يتطور به تأمله الفلسفى الى اكتشاف حدود الماركسية والتفتح الى آفاق الروح الرحبة بل التقارب مع المسيحية والتسليم بأن رسالة كل من المسيح وماركس تستجيب الى حاجات إنسانية شرعية بعينها ٠

وقد يكون من المناسب أن نذكر فى هذا الصدد الكاتب الروسى المبدع « سولجينتسين » الذى نشرت كتبه الكثيرة فى السنوات القليلة الماضية فاذا هى تطفح شوقا الى الروح وتزخر بمعانى التسامى عن المادة والتوق الى المطلق ، وذلك أكثر من نصف قرن بعد قيام الثورة اللينية الماركسية فى روسيا ٠

وتطالع كتبا كثيرة ظهرت فى غضون هذه السنة مثل مذكرات الشاعر الشيلى « نوريدا » المعروف بنزعته الشيوعية والتى تحمل عنوان « أعترف أنى عشت » (1) وكتاب « زمن الالتباسات » لهنرى لوفيفر (2) وهو الاستاذ الماركسى الذى درس الفلسفة بجامعة نانتير الشهيرة (Nanterre) وكتاب « الستالينيون » للمناضلة الشيوعية « دومينيك ديسانتى » (3) ومذكرات شيخ الوجودية ج٠ب٠ سارتر فى مجلة Nouvel Observateur الصادرة فى الصائفة الفارطة وتتذكر ما جاء فى كتب « سيمون دى بوفوار » التى أرخت فيها لحياتها ، وتتصفح قصة « غير المرغوب فيه » لرجيس دوبراى (4) الذى صدر هذا الشهر ، وهو الكاتب الثورى الذى قاوم جنبا الى جنب مع ش٠ غيفارا وألقى عليه القبض فى بوليفيا وحكم عليه بالاعدام ثم عفى عنه بتدخل شخصى من الجنرال دى قول ٠٠٠ إنك تطالع كل هذه الكتب الجديدة فتلمس لدى أصحابها نرجسية ايديولوجية خانها الواقع وكذبتها تجربة السنين ، وتستشف فى صفحاتها خيبة أمل ومرارة وأحيانا ردة مذهبية !

---

(1) J'avoue que j'ai veçu - Pablo Neruda (ed. Gallimard)

(2) Le Temps des meprises - Henri Léfebvre (stock)

(3) Les Staliniens - Dominique Desanti (Fayard)

(4) Regis Debray : l'Indésirable (Le Seuil)

وعزما مفلولا وجهدا مخذولا !٠٠ وسبب ذلك كله هذا الفصام الذى أصبح معظم هؤلاء المكفرين والأدباء يشاهدونه فى عصر حياتهم أو غروبها بين ما توصلوا إليه بتفكيرهم الصلف وخيالهم المجنح وبين ما أصبحوا يشاهدونه اليوم فى الواقع المادى والبشرى ٠

ويمر بك « كامو » فتمر بخاطرك قولته قبيل اختفائه فى العدم (L'Absurde) الذى جعل منه مذهبا له ومعنى للامعنى الحياة : « إنى أوثر أمى على العدالة ! » (Je prefère ma mère à la justice) وقد تسلم مثله بأننا نعيش دهرا من عمرنا نعرف فيه من هى أمنا ولكنا نتيه فى سعينا الى تمييز ملامح العدالة وتبين مسالكها المستقيمة والوسائل النظيفة الضامنة لها إذا ما ردنا العمل وأقدمنا على تغيير الواقع ٠

وبينما يعيش الغرب أزمة فكرية وحضارية حادة ويتهافت أئمة الفلسفة والأدب فيه على الحقيقة الكفيلة باكساب الأجيال الصاعدة اليقين والطمأنينة والظفر بنخوة العمل الصالح وإيجاد التوازن الضرورى بين الحرية الفردية والاستقلال الذاتى وبين التضامن الاجتماعى فى كنف العدالة والمساواة ، بينما هؤلاء بصدد تصفية حساب المذاهب الجاهزة والنظريات الواحدية الجامدة ، يحررون الانسان من الأصفاد التى صنعها بأيديه فأصبح يرزح تحت نيرها ، بينما أدرك القوم أن الفوز بالطاقة النووية والنزول على سطح القمر والتبريز فى التكنولوجيا والسيطرة على العلوم الصحيحة وطيب العيش المادى لا تكفى وحدها لشفاء شوق الانسان الى ما وراء العرش ولا تغنيه أبدا عن نزوعه المتواصل الى تجاوز ذاته والتمرد على منزلته أيا كانت ٠٠٠ بينما القوم يجتازون هذه المرحلة الدقيقة من حياتهم ويتحسسون الى منعرج مصيرهم الجديد قبيل نهاية القرن العشرين ، لا يزال الكثيرون منا فى بلادنا وفى الشرق الاوسط وفى العالم الثالث عامة يستنفدون طاقاتهم للنهل من هذا الركام الايديولوجى المتقادم المتداعى ، الذى فارقته الحياة منذ لأى ، بعضهم آثر التقوقع فى ماضيه المحنط يحاول عبثا إحياءه على علاته عوض استيحائه والانطلاق منه لخوض غمار الحاضر وصنع المستقبل ، وبعضهم اقتنع اقتناعا كليا بأنه ليس له ماض ولا اجداد ولا تراث ولا مقومات حضارية ولا خصائص قومية ٠٠٠ فتمسك بالجدانوفية الشمطاء والدغماتية الحمقاء أو « الدغفاتية » (1) البلهاء أو انبهر بالوجودية المتبخرة أو تغرغر بالثورية

---

(1) كلمة « دغفة » العامية تعنى المغفل وقصير النظر !٠٠

الكلامية الجوفاء واعتمد الهيكلية الآيلة إلى سقوط أو انخدع بالعلموية الصلفة التى تجاوزتها الاحداث يحومون جميعا كالذباب حول غثاء الأجداد غير المستساغ أو فتات الأغيار المتسمم البراق دون أن تكون لهم همة الخلق وعزيمة التكشف الذاتى على الواقع المتجدد الحى وادراكه دون تقيد بمذهب سابق أو فكرة قبلية ، والعمل الدائب من أجل تجسيد المثل العليا التى تشهد بتفرد الانسان وطرافته ومجده فى آن واحد ٠

هذه حالنا ! ولا يجدينا أن نهون من هولها أو أن نعتبرها ضريبة التقدم والمعاصرة أو مرحلة لا بد منها فى طريق نهضتنا ، فان ما نشكوه اليوم من حروب أهلية وشقاق وحقد وصعوبات اقتصادية وذبذبة تربوية ومن تدخل الدول الكبرى مباشرة وبصفة غير مباشرة فى شؤوننا ٠٠٠ إنما يرجع أصلا الى اننا استوردنا ثمار الحضارة دون بذورها بينما استورد الغرب منا بذور حضارتنا منذ حوالى تسعة قرون ! وقلدنا النظريات الجاهزة وأصبح كل فريق فى ديارنا يمثل « دارا » مذهبية بعينها (1) ويقف نشاطه على نصرتها سواء فى الجامعة أو الجرائد أو السنما أو النوادى ٠٠٠ فتحجر التفكير الخلاق وطغى احتقار الذات القومية وساد التعصب ٠

ولعل خلق تيار قومى إرادى يصبح ميسورا اذا ما اقدمنا على مراجعة فلسفة التربية والتعليم واتجاه وسائل الاعلام والتثقيف الجماهيرى واعدنا النظر فى محتواهما واتفقنا على سلم قيم روحية وحضارية واجتماعية ، تكون بمثابة الجذع المشترك والمرجع الوجودى الذى يشدنا بعضنا الى بعض ويضمن وفاءنا لذاتنا الفردية والقومية وطموحنا الى الغد المشرق ٠

أما اليوم فاننا نتراشق بالتهم بين يمينى ويسارى ، سلفى وثورى ، تقدمى ورجعى ، ماركسى وبورجوازى ، يحقد بعضنا على بعض مدعين جميعا السداد والعصمة بينما أخذ الذين باعونا بضاعتهم يتخلصون من هذه المذهبية المتحجرة العقيم بكل الوسائل أو يضعونها فى متاحف تاريخ الفلسفة كما يفعلون بالضبط بالنسبة للأسلحة والمعدات الحربية التى نتهافت نحن على شرائها بعائدات بترولنا ونوهم أنفسنا بالقوة ٠٠٠ ثم هم يبحثون عن بديل لهذه البضاعة البائرة تستسيغها الحياة ويقتضيها التطور والتقدم !

تلك حالنا ، وكل حال تحول !٠٠٠

---

(1) كما يمثل التجار ورجال الاعمال فى بلداننا دورا تجارية غربية كثيرة ٠

محمد مزالي

محمد علي الحامي بعد خمسين عاما

بقلم : البشير بن سلامة

فى هذا العدد يجد القراء الكرام بحثين للأستاذين جعفر ماجد وأحمد خالد أتحفا بهما المجلة للكشف عن بعض جوانب حركة محمد على الحامى من جملة جوانب عديدة ما يزال يحوم حولها الغموض وتتسرب اليها المغالطة • وقد أتيحت الفرصة للباحثين فاطلعا على وثائق جديدة وأرادا تزويد القراء مشكورين بمعلومات مدققة عن ماهية حركة محمد على • ورغم ذلك فانه تبقى جوانب عديدة لم يبلورها البحث مثل تكوينه وأفكاره وفلسفته للأحداث التى عاشها ، واتصالاته فى الخارج ، ومدى انتمائه للحركات الموجودة آنذاك خاصة فى تركيا وألمانيا وفرنسا ، وترحاله فى أقار كثيرة بعد تغريبه ونهايته المفجعة•

غير أن المهم فى هذين البحثين هو أن الكاتبين – بفضل الوثائق الجديدة – خلصا حركة محمد على الحامى من الغموض والترهات التى علقت بها سواء فى الأوساط الوطنية التونسية أو الأحزاب السياسية الأجنبية ، وبينا خطورة هذه الحركة بالنسبة لسير الكفاح الوطنى اذ هى تعد بمثابة المنعرج الذى دفع البلاد بعد سنوات قليلة فى طريق آخر أفضى حتما الى تخليص البلاد من النظام الاستعمارى •

وصادف أن كانت سنة 1975 تفصلنا عن تغريب محمد على بخمسين سنة (1925) وهى السنة التى انتهى فيها الشعب التونسى من الاحتفال بمرور أربعين عاما على بعث الحزب الذى قاد الكفاح التحريرى فى تونس والسنة التى احتفل فيها الشعب التونسى بالذكرى العشرين لرجوع المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة من المنفى بعد أن خلص السيادة التونسية من الازدواج والسنة التى يتهيأ فيها الشعب التونسى للاحتفال بمرور عشرين عاما على استقلاله •

وليس من الغريب أن يرتبط محمد على الحامى بهذه الذكريات كلها خاصة وأن محرر هذه البلاد الحبيب بورقيبة أولاه مكانته وبين فى خطب عديدة أنه الزعيم الوحيد الذى تخلص مما ترددت فيه الحركات الأخرى وأنه قد شق

الطريق فى الواقع ليخوض الشعب فترات الكفاح الحاسمة بعد أن آعتبر المجاهد الأكبر بعوامل الفشل التى قضت على تلك الحركة المباركة (*) ٠

وان مزية هذين البحثين الى جانب ما وضحه سابقا الرئيس الحبيب بورقيبة فى خطبه هو أنها اعتمدت الوثائق التى لم يكن فى الامكان الاطلاع عليها وخلصت حركة محمد علي مما ألصقه بها النظام الاستعمارى والأحزاب السياسية الأجنبية والوطنية ٠

فلقد حرص النظام الاستعمارى على الصاق الشيوعية بمحمد علي حتى يمكن له أن يتخلص منه ومن حركته بسهولة رغم تبرؤ هذا الزعيم من انتمائه الى هذا الحزب وتمسكه بنزعته الوطنية ٠

وحرصت الأحزاب السياسية الأخرى كالحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى على استغلال نشاط محمد علي وشعبيته لدى الجماهير لتحصل على شيء من النفوذ على الشعب وتتسرب الى صفوفه ثم لما تبين لها نزعته الوطنية تبرأت منه وقاومته ٠

أما الأحزاب الوطنية وخاصة الحزب الحر الدستورى القديم فانه احتضن فى الأول محمد علي لشعبيته كما فعل بعد ذلك مع الحبيب بورقيبة ثم لما اتضحت له خطورة الاتصال بالجماهير تبرأ منه سنة 1925 كما تبرأ من الحبيب بورقيبة سنة 1934 ٠

وهكذا فان الفترة القصيرة التى عمل فيها محمد علي ونشطت أثناءها هذه الأحزاب فى وضع يدها على هذه الحركة قد أضفت عليها شيئا من الغموض سابقا ولم يتضح ذلك الا فى هذه السنوات الأخيرة ٠

وواضح الآن أن هذه الحركة هى مثل حركة الحزب الحر الدستورى الجديد وطنية صرف إذ هى تعتمد قوى الشعب الحية ولا ترتبط بأى حزب من الأحزاب سواء فى الداخل أو الخارج كما أنها لا ترى قوة أخرى غير قوة الجماهير الشعبية فى الوصول الى النتيجة المرجو وهىزحزحة نير الاستعمار٠

(*) فى خطاب ألقاه الرئيس الحبيب بورقيبة يوم 9/أفريل/1968 بالمنزه أكد قائلا : « لقد وجدت أوجه شبه كثيرة بينى وبين هذا الرجل الذى مات مجهولا وما زال كثير يظنونه شيوعيا ٠ كلا بل كان وطنيا يتقد حماسا وغيرة على التونسيين الذين يعتبر أغلبيتهم الساحقة فى حال من الفقر المدقع التى لا تبقى معه للبشر كرامته » ٠

وهى الى ذلك لا ترى فائدة فى الارتباط بدول أخرى مثل تركيا وألمانيا آنذاك رغم أن الاستعمار أراد الصاق هذه التهمة بها ٠

ولكن أهم ما يسجل عن هذه الحركة هو أنه لأول مرة حسب اعتقادى يندفع فيها زعيم من الزعماء السياسيين فى تونس من دون أن يقرأ حسابا لعواقب عمله السياسى ويزج بنفسه فى العمل الشعبى مقدرا المسؤولية حق قدرها ومنصرفا عما درج عليه انزعماء من قبل فى تأمين خط الرجعة لأنفسهم والابقاء على امتيازاتهم وثرواتهم أمثال خير الدين وبعض رجالات حركة الشباب التونسى ونخبة الحزب الدستورى القديم ٠

ذلك أن محمد على الحامى واجه أمرين الزعامة أى **المسؤولية العليا** أو **الأفاريات** (*) فاختار الزعامة والمسؤولية وهو ما سيختاره فيما بعد الحبيب بورقيبة عندما يبعث للوجود الحزب الذى سيقود البلاد الى التحرر الكامل (**) ٠

غير أن كل هذه العوامل التى جعلت من حركة محمد على حركة وطنية أصيلة لم تستوف شروط النجاح لأنها قد أبقت على نوع من الغموض خاصة عند اندماج بعض المنتمين الى الأحزاب الأخرى فى حركته كما أنها لم تجد الوقت الكافى لضبط خطة مدروسة وتوضيحها للرأى العام سواء الداخلى أو الخارجى والظفر بالمساندة من أوساط تحررية تقدمية لم تكن غايتها ابتلاع الحركة والسيطرة عليها ٠ وأهم من هذا كله هو خلو الحركة من النزعة السياسية الواضحة لأن المسألة ليست فى المطالبة بحقوق الطبقة الشغيلة وبعض الهوامش الأخرى بل هى تكمن فى وجود نظام سياسى جائر هدفه القضاء على شخصية البلاد وابتزاز الخيرات وتفقير كل أصناف المجتمع وتجهيلها ٠ هذا النظام كان من الواجب تقويضه وهذا ما فهمه الحبيب بورقيبة ووضع الخطة له وهيأ من أجله جميع الظروف والوسائل الكفيلة بوصول الشعب الى مبتغاه ٠ فنجح فى تأمين الكفاح التحريرى حيث تعثر محمد على ٠

البشير بن سلامة

(*) الأفاريات: هى كلمة تونسية عامية تشير الى كل الأعمال التى يأتى من جرائها الربح كالهناشر والضيعات والصفقات التجارية وغيرها ٠

(**) راجع الرسالة التى بعث بها الحبيب بورقيبة من جالطة الى السيد عزوز الرباعى فى 20 مارس 1953 وبين فيها شروط الزعامة والمسؤولية (جريدة « العمل » 7 سبتمبر 1975) ٠

معلومات جديدة عن :

محمد علي الحامي

بقلم : جعفر ماجد

مرت فى هذا العام خمسون سنة على ذكرى تأسيس جامعة عموم العملة التونسيين وذكرى نفى زعيمها ومؤسسها محمد على الحامى • وقد ظهرت هذه الجامعة فى ظروف دقيقة من تاريخنا الوطنى وطبعت شخصية محمد على الفترة الفاصلة بين تأسيس الحزب القديم والحزب الجديد بطابع مميز ترك آثارا واضحة فى سير الحركة الوطنية الا ان كل الذين كتبوا عن محمد على ـ وهم قلة ـ كانوا عالة على المعلومات القليلة التى مدنا بها الطاهر الحداد فى كتابه (العمال التونسيون وظهور الحركة العمالية) الصادر بتونس فى طبعته الاولى سنة 1927 ، وما زلنا نجهل الكثير عن هذا الزعيم خاصة حياته قبل دخوله تونس سنة 1924 وظروف خروجه منها ، منفيا مع عدد من رفاقه • وتمكنا هذه الايام من الاطلاع على وثائق هامة بأرشيف وزارة الخارجية الفرنسية سلطت أضواء جديدة على حياة محمد على وكفاحه ، رأينا أن نقدمها للقراء والباحثين • ولا يسعنا الا ان ننحنى خشوعا واجلالا فى الذكرى الخمسين لهذا البطل العظيم ، راجين أن يدرك الشباب قيمة التضحيات التى قدمها أبناء هذه الارض الطيبة لتمكينهم من أن ينعموا بثمار الحرية •

من هو محمد على الحامى ؟

تعرفه مصلحة القيس كما يلى ، تحت رقم 497 117

الاسم : محمد بن على بن مختار

اللقب :

مولود فى : 1894 بحامة قابس (تونس) •

ابن : على بن مختار وعائشة بنت عباس

المهنة : كاتب عام للحزب الشيوعى

آخر مقر سكنى : تونس ـ 12 نهج تورتو

أسباب الايقاف : مؤامرة ضد الامن الداخلى للدولة

معلومات متفرقة :

صدر ضده يوم 12 نوفمبر 1925 حكم بعشرة أعوام تشريد عن محكمة الاجرام بتونس ٠

مؤرخ بتونس فى 6 فيفرى 1925

ويتضح من الآن أن محمد على (1) متهم بتزعم حركة شيوعية وقد امتنعت السلط الفرنسية من ذكره بصفته الصحيحة وهى : الكاتب العام لجامعة عموم العملة التونسيين لانها لم تعترف بهذا التنظيم فجعلته كاتبا عاما للحزب الشيوعى ٠

وكتب المقيم العام لوسيان سان Lucien Saint تقريرا الى (هريو) رئيس الوزراء الفرنسى ووزير الخارجية مؤرخا فى 4 جانفى 1925 يعرفه فيها بشخصية المسؤول عن حركة التشويش السائدة بتونس ، فنعته بأنه من أنصار القضية التركية الالمانية ، تعلم بالمدرسة فى أوائل الحرب وتميز بتصريحاته المعادية لفرنسا ٠ ولما حل بافريقيا الشمالية قائد المدرعات التركى محمود باى لتوزيع مناشير تدعو (محمبينا) الى التمرد ، انضم اليه محمد على ٠ ونجده بعد ذلك مع محمود باى فى الجزائر والمغرب وطنجة التى غادرها على ظهر باخرة ايطالية سنة 1918 أقلته الى القسطنطينية ٠ ويواصل سان حديثه عن محمد على قائلا : ومنذ ذلك الوقت ، وضع محمد على نفسه فى خدمة تركيا : ثم ألمانيا ، فيما يبدو ٠ وبالقسطنطينية ، عاش فى دائرة أنور باشا ، وكلف بمهمة الدعاية لدى الاسرى المسلمين ٠ وقد تمكن بمعية Ex. Lieutenant الجزائرى السابق « بوفابايا » من تهريب عدد من هؤلاء الى الجيش التركى ٠ وأيام الهدنة ، تحول محمد على الى برلين حيث كان عميلا لباش حانبه ووقع استعماله فى مركز الهيئة الاسلامية التى مازالت تشتغل آنذاك ٠ فتعاون مع جريدة عربية كانت تصدر بجنيف وعرض خدماته على الامير فيصل حين كان هذا الاخير يقيم بجنيف ٠ وهكذا نراه دائما فى خدمة أعداء فرنسا أو على اتصال بهم ٠ يفاخر محمد على بأنه أحرز فى ألمانيا دكتورا « العلوم والحيطة الاجتماعية » ٠ وعلى كل حال ، فانه مكث بها من 1918 الى 1924 باستثناء اقامة

---

(1) سيسمى فى الوثائق تارة محمد على وتارة محمد بن على أو محمد بن على بن المختار ٠

بتونس مدتها شهران ؛ ومن غريب الصدف أن هذه الاقامة صادفت الازمة الدستورية لسنة 1922 (مارس ــ أفريل) ٠

وفى سنة 1924 ، كانت أول مبادرة قام بها محمد على محاولة تأسيس منظمة تعاضدية للاهالى (انديجان) تستعمل مرابيحها لتوجيه شبان تونسيين الى ألمانيا ؛ فلم ينجح ، ولكنه أسعفه الحظ باندلاع حركة اضراب عمال الرصيف بتونس وبنزرت التى قام فيها بدور نشيط ، جاعلا نفسه همزة وصل بين الشيوعيين والدستوريين ٠ ففى هذا الوقت بالضبط (أواخر سبتمبر أكتوبر 1924) أعلن فكرة تأسيس جامعة عموم العملة التونسيين C.G.T.T. التى كان هدفها « كهربة » (1) جماهير عمالية كافية لفرض ارادته ولو كلفه ذلك « القاء 10.000 عامل فى الشارع » حسب تعبيره ٠ وباتفاق مع الشيوعى مختار العيارى ، أحدث محمد على حركة معارضة فى وجه المسيو جوهو ببورصة الشغل حين تضاربت فكرة جامعة عموم العملة التونسيين مع جامعة عموم العملة الفرنسيين : C. G. T. فى هذا الوقت ، اعتبر المسيو جوهو هذه الحركة بعد عودته من فرنسا ، تافهة ٠ ولو أتيح له أن يرى الجهود التى بذلها محمد على منذ ستة أسابيع لادخال الاهالى فى هذه النقابات الشيوعية المعادية لفرنسا ، لرأى أن جيشا ثوريا كان يتم اعداده بتنظيم محكم ولما استخف بالخطر ٠٠ وفى الحقيقة ، بقدر ما يزداد نشاط محمد على (قام أخيرا بجولة دعائية فى أوساط عمال شركة الفسفاط بقفصة والمتلوى جعلتها السلط عديمة الجدوى) بقدر ما يظهر طبعه الحقيقى : ان شخصيته ودوره يتجاوزان شخصية ودور دستورى أو شيوعى محلى ٠ فبات متأكدا أننا ازاء عميل الحركة الشيوعية العالمية يؤهله ماضيه وعلاقاته التركية العثمانية للعمل ضد فرنسا ــ وتفيد المعلومات الاخيرة الصادرة عن وزير الداخلية أن الحزب الشيوعى الفرنسى تلقى تعليمات من هيئة العمل للحركة الشيوعية العالمية لتكوين اطارات من المشوشين بفرنسا قصد توجيههم الى بلدانهم بعد ذلك للعمل لا تحت أوامر الحزب الشيوعى الفرنسى بل هيئة العمل للحركة العالمية التى توجههم من مراكزها الموجودة ببرشلونة والقسطنطينية ٠

صحيح أن محمد على لم يتكون بفرنسابل بألمانيا ، ولكنه شخص ينطبق عليه هذا التعريف ٠ ومن جهة أخرى نحن نعلم أنه وقع التصريح فى احدى

---

(1) وضعها سان بين ظفرين

جلسات الحزب الشيوعي الفرنسي الاخيرة بأن انتداب المشوشين التونسيين يسير سيرا مرضيا وأن كثيرا منهم بقوا في بلادهم مزودين بالتعليمات اللازمة ومن هذه التعليمات مساندة الحركة الوطنية التونسية التي تعتبر مثل الحركة العمالية وسيلة من وسائل تضليل المجموعة السكنية الاسلامية وتوجيهها الى غايات أخرى ٠

ومما لا شك فيه أن محمد علي يجب ان يوضع على رأس المشوشين ٠ فلو تصورنا السكان الاهالي الذين يخاطبهم ـ [وهم عبارة عن مجموعة بسيطة التفكير الى حد الغفلة ، ومستعدة بسبب ـ تقاليدها الدينية للقيام بكل الانتفاضات المنجرة عن كرهها للاجنبي] ـ لقدرنا الخطر الذي تمثله دعاية مشوش مثل هذا ، مهما يكن شعاره ، اذا لم تتخذ ضده اجراءات في منتهى الشدة !

هذه هي شهادة لوسيان سان في محمد علي ، قائمة كما سنرى فيما بعد ، على تبرير المحاكمة الظالمة وتشريد محمد علي وأصحابه في ظروف أثارت استياء قسم كبير من الرأي العام الفرنسي وأحرجت رئيس الوزراء ووزير الخارجية (هريو) أمام مجلس النواب ٠ ولكن المعلومات التي استقاها ـ سان ـ من تقارير البوليس والقنصليات الفرنسية عن حياة محمد علي ، لا تخلو من الاهمية ، رغم تحاملها الواضح ! ولنعد الآن الى بداية الحركة وموقف الاقامة العامة منها !

كان لوسيان سان متعصبا على الفكرة الوطنية الى حد الهوس حتى أنه طلب من السلط الفرنسية في برقية مؤرخة في 4 فيفري 1925 أن تتدخل لدى شركة (باتي) لمنع المغنية اليهودية حبيبة مسيكة من تسجيل اسطوانة لان الاغنية التي ترجم عنوانها بعبارة (أرفض الوصاية) يمكن أن تشتم منها رائحة الوطنية وقد ظن أن اجراءات النفي التي اتخذها ضد السيد أحمد توفيق المدني يوم 10 جوان 1925 وكان لها وقع كبير في أوساط المثقفين والصحفيين قد فلت في عزائم الناس فاستبشر في بعض تقاريره بهروب أحمد الصافي الكاتب العام للحزب القديم الى الفحص مختفيا عن عيون أصحابه وبخوف جماعة آخرين من اللجنة التنفيذية مثل الشاذلي خزندار أعلنوا أن الحزب في عطلة وأنه لا يستأنف نشاطه الا مع دخول المدارس في حين تهاطلت عليه البرقيات والرسائل الانهزامية الممجدة للحماية كالرسالة الصادرة عن السيد

م· ش· بتاريخ 18 ماى 1929 (1) ، فراعه دخول شخص غريب لم يكترث به أول الامر ثم ما فتىء أن أعاره كل اهتمامه منذ أعلن محمد على أمام أعضاء اللجنة التنفيذية ــ التى كان على اتصال مستمر بها حسب تقارير سان ــ أن الاجتماع الذى تقرر لن يوقف أو يمنع الا بقوة السلاح · آنذاك كتب المقيم العام الى رؤسائه يعلمهم أن الدستور تخلى عن دور المعارضة لمحمد على الذى أصبح يسيطر على الموقف :

(وفى الجملة فان جماعة الدستور ــ وهم محامون وبرجوازيون ضعفاء غير ميالين الى الخروج من طور القول الى طور الفعل ــ وجدوا فى محمد على شخصا محرجا وانزعجوا من تصريحاته المتكررة حول ضرورة اسالة الدماء) (2) ــ وقد سجل لوسيان سان لمحمد على فضيلة سيذكرها التاريخ حين قال : (ان هذا الرجل يتميز عن الدستور ببرنامجه الصريح : تحرير تونس بالكفاح العنيف !) (3) ·

ولم يكذب المقيم العام حين قال ان محمد على أحرج جماعة اللجنة التنفيذية فلما اشتدت الازمة أبرق أحمد الصافى يوم 30 جانفى 1925 ينفى فيها انتساب محمد على الى الحزب ، ورغم حضوره اجتماعات اللجنة التنفيذية وعلاقاته المتينة ببعض أعضائها ، كما جاء فى التقارير ــ أما الاقامة العامة فقد ألصقت به تهمة الشيوعية مثل كل الوطنيين (4) وكثيرا ما تجعلهم دستوريين شيوعيين فى نفس الوقت مثل أحمد توفيق المدنى ، أما مدير الامن الفرنسى فلم يسعه الا تسجيل اعترافات محمد على الذى وقع استنطاقه يوم 11 جانفى 1925 فأعلن أن عمله هو قبل كل شىء عمل وطنى · ولما ردد (هريو) اتهامات لوسيان سان أمام مجلس النواب ، وجه اليه الزعيم العمالى البرقية التالية :

---

(1) نسخة الى المقيم العام من رسالة الى كاتب فرنسى طلب من السيد م·ش· أن يروج له كتابا بتونس ·

(2) تقرير الادارة السياسية بتاريخ 27 جانفى 1925 ·

(3) نفس المرجع

(4) ذكر فى بعض التقارير أن محمد ومحمد بورقيبة كانا ينتسبان الى حركة شيوعية ·

(أحتج بشدة ضد المقطع المتعلق بشخصى من خطاب السيد هريو أمام المجلس · لا أنتسب الى أى حزب سياسى ولم أنظم البتة توجيه شبان تونسيين الى المانيا ـ عملي يهدف فقط الى تنظيم وحماية العمال التونسيين المستغلين من الرأسمالية العالمية) ـ محمد على ـ الكاتب العام لجامعة عموم العملة التونسيين 31 نهج سيدى منصور ·

وبدأ تضييق الخناق على محمد على فوجهت برقيات عاجلة الى البلدان التى مر منها الزعيم التونسى أو أقام فيها فكتب بول تيرار Paul Tirard قنصل فرنسا بالمانيا مذكرة بتاريخ 13 فيفرى 1925 جاء فيها أن محمد على معروف فى بعض الاوساط ببرلين ، وأنه عنصر خطير جدا ، وأنه يتقن اللغتين الفرنسية والالمانية ، وأن بريده يوجه الى شخص اسمه : الشافعى ، قاطن بباريس ، المقاطعة الخامسة ، 29 نهج بواسى Poissy

من هو هذا الشخص ؟

يفيدنا تقرير صادر عن ادارة الامن بباريس يوم 2 أفريل 1925 أن محمد على سكن بباريس ، 2 نهج أراس من 6 الى 20 مارس 1923 ولم يعثر له على أثر بعد هذا التاريخ ـ وكان يتناول طعامه عند قريب له اسمه بلقاسم الشافعى مولود فى 4 جانفى 1890 بتونس ، يشتغل بمستودع (قاراجيست) 29 نهج بواسى ، بداية من 1 جانفى 1921 · متزوج يوم 23 أفريل 1921 · بجرمان بليسون Plisson مولودة فى باريس سنة 1897 من أبوين فرنسيين · وله ابن صغير السن ـ تحمل بطاقة تعريفه رقم 1712914 وسلمت له يوم 24 نوفمبر 1923 ـ الا انه قد لا يكون اتصل بمحمد على منذ أكثر من سنتين ولا تلقى بريده ـ لا يظهر أن له اهتماما بالسياسة والمعلومات المتعلقة به طيبة · (1)

والمدة التى قضاها محمد على بباريس جعلت السلط الفرنسية تخلط بينه وبين « شيوعى » هندى اسمه محمد على سباسى ، ولكن سرعان ما وقع التصويب فى هذا التقرير الذى نقض تقريرا آخر قبله ·

جمع لوسيان سان كل العناصر المكونة لملف التهمة (التآمر على أمن الدولة) ووجهها الى هريو فى تقرير مؤرخ فى 3 فيفرى 1925 وركزها على

---

(1) قد يكون من المفيد أن يبحث عن هذ الشخص عسى يعثر لديه على بعض رسائل محمد على ·

الشيوعية والدعوة الى اسالة الدماء ـ فرجاه رئيس الوزراء أن يبقى في منصبه وأذن له بفتح التحقيق في برقية بتاريخ 3 فيفري 1925 · وفي صبيحة 5 فيفري 1925 على الساعة العاشرة تم ايقاف محمد علي ومختار العياري وفينودوري ، ثم وقع ترحيله مع العياري والغنوشي والقروي على ظهر باخرة الى ايطاليا يوم 26 نوفمبر بعد اصدار أحكام بالنفي والتشريد ·

وبعد خروج محمد علي من تونس ، بدأت مرحلة أخرى من مأساته الاليمة ففي يوم 2 ديسمبر يبرق القنصل الفرنسي (بنابولي) الى وزارة الخارجية لاعلامها بأن التونسيين الاربعة قصدوا محل القنصلية طالبين اتاوات السفر في اتجاه القسطنطينية بالنسبة لبعضهم والاسكندرية بالنسبة لبعضهم الآخر ، وأن القنصلية رفضت تقديم المساعدة اليهم ـ وعند خروجهم بالباب القت الشرطة الايطالية عليهم القبض وقادتهم الى السجن · ويوم 12 ديسمبر 1925 يبرق القنصل الفرنسي نيتون Neton من نابلي الى وزير الخارجية : علمت أن التونسيين الاربعة سيوجهون هذا المساء الى مركز الحدود بوستاميا Postemmia حيث يقع طردهم الى يوغسلافيا ـ وتحت ضغط بعض النواب الفرنسيين وجمعية الدفاع عن حقوق الانسان ، تأذن وزارة الخارجية لقنصل نابلي بتقديم نفقات السفر الى المساجين بشرط ترحيلهم توا الى مصر أو تركيا ولكن القنصل يعلم وزارته أن التونسيين الاربعة خافوا عدم الحصول على تأشيرة مرور الى القسطنطينية والاسكندرية ففضلوا الرحيل الى يوغسلافيا وأن الاذن بتقديم المساعدة وصل بعد ترحيلهم مساء 12 ديسمبر الى الحدود اليوغسلافية · أين ذهبوا ؟ هل أطردوا من الحدود اليوغسلافية ؟ هل فضلوا الالتحاق بحركة عبد الكريم الخطابي (1) ؟

تفيدنا مذكرة موجهة من هريو رئيس الوزراء ووزير الخارجية الى وزير الداخلية مؤرخة في 6 مارس 1926 « أن الشيوعي التونسي محمد علي » لم يسمح له بالاقامة في ايطاليا ولما حل بالقسطنطينية وقع ترحيله الى الاسكندرية (بعد عشرة أيام من وصوله اليها) ، فذهب منها الى طنجة ·

---

(1) كان لحركة عبد الكريم صدى عميق في نفوس التونسيين وجاء في بعض تقارير المقيم العام أن الطاهر الحداد كان يقوم بحملة لحث الجنود التونسيين المحاربين بالمغرب على الهروب من صفوف الجيش الفرنسي وبناء على ذلك نصح المقيم العام بالتخلي عن التونسيين في حرب الريف ·

وفى طنجة افتضح أمره فاطرد « بمندوب » مؤرخ فى 2 مارس · وتفيدنا المذكرة أنه بلغ لعلم السلط أن محمد على سيغادر طنجة الى مرسيليا يوم 6 مارس على ظهر باخرة فرنسية ·

يوم 18 مارس 1926 نعلم ان محمد على مقيم بمرسيليا وأن مدير الامن العام رفض الطلب الذى تقدم به اليه كوميسار المدينة حول حجز فى الباخرة وآخر فى القطار (1) ·

ويظهر أن السلط الفرنسية قررت فى النهاية ترحيله الى مصر ، وهنا تبدأ مرحلة أخرى من حياة محمد على لم تزل غامضة ، نرجو أن يتوفق الباحثون الى كشف النقاب عنها : اذ أن أهمية هذا الزعيم فى تاريخ الحركة الوطنية وتضحياته الجسيمة تملا قلوبنا نخوة واعجابا ولكنها تثقل كواهلنا بالمسؤولية ·

جعفر ماجد

---

(1) طلب محمد على الاذن بالتوجه الى قريبه بلقاسم الشافعى فرفض الطلب·

مواقف الاحزاب من حركة محمد على الحامى وواقع اتجاهها الايديولوجى السياسى

بقلم : احمد خالد

هذه العينات قد انتخبتها لقراء مجلة الفكر من دراسة جديدة لى (1) خصصتها للحركة الاقتصادية والنقابية التى تزعمها محمد على الحامى من سنة 1924 الى سنة 1925 فى « جمعية التعاون الاقتصادى التونسى » ثم فى « جامعة عموم العملة التونسيين » . وقد اخترت نشر هذه العينات لانارة جانب جديد من شخصية محمد على الحامى ظل غامضا أو ملتبسا من قبل ، وكذلك وددت كشف القناع عن مواقف التشكيلات الحزبية من حركته وبيان الاتجاهات الايديولوجية والسياسية المتباينة فى قيادة تلك الحركة التى أدخلت الرعب فى نفوس المستعمرين فى الثلاثينات قبل أن يتوصلوا بمكائدهم الى تأليف الاحزاب على محمد على وجماعته فيستسهلوا استئصال حركته وتسليط أشد العقاب عليه وعلى ثلة من رفاقه فيحكموا عليهم بالتغريب خارج الوطن .

ومن المفيد أن نعرف بالاحزاب السياسية التى كانت تنشط فى البلاد آنذاك لنفهم مواقفها من حركة محمد على . فأول تلك التشكيلات الحزب الحر الدستورى (القديم) الذى جمع فى صفوفه وطنيين من أصحاب الاملاك العقارية وصغار التجار وأرباب الحرف فى المدن وعديدا من المثقفين ، فاعتبر آنذاك حزب الشعب وكان قادته يطالبون الحكومة الفرنسية بمنح دستور لاهل البلاد يمكنهم من ممارسة حقوقهم السياسية . الا أن أولئك القادة جهروا لدولة الحماية بانضباطهم السياسى المرادى أحيانا للولاء

---

(1) خصصت قبل الدراسة المشار اليها كتيبا للتعريف بمحمد على الحامى ونضاله الاجتماعى بعنوان « محمد على الحامى » ط . الدار التونسية للنشر 1968 وسيظهر البحث الموسع حول محمد على اما فى كتاب مخصص له أو مدمجا فى طبعة جديدة لكتابى « الظاهر الحداد والبيئة التونسية من الثلث الاول من القرن العشرين »

فانتظروا سخاءها وأرسلوا وفودهم الى باريس لعرض مطالبهم على الحكومة الفرنسية راجين عطفها ·

ويبدو أن فئة من المتحزبين الدستوريين فى القاعدة لا فى القيادة لم تشاطر رأى زعماء الحزب الحر الدستورى فى ما توهموه من امكانية التوصل الى حل سلمى للقضية ضالوطنية بل كانت تؤمن بالقومية النورية مذ بداية الثلاثينات قبل عشرة أعوام من تاريخ انشطار ذلك الحزب وانبعاث الحزب الحر الدستورى (الجديد) حسب وثيقة تحليلية للوضع السياسى بالبلاد فى جريدة « المستقبل الاجتماعى » (L'Avenir Social) (1) بتاريخ 21 ديسمبر سنة 1924

ونشط فى تونس آنذاك **الحزب الاصلاحى** بقيادة حسان ڤلاتى فسلك مسلك التعاون مع ادارة الحماية وكان هدفه اقتسام النفوذ السياسى فى البلاد مع المحتلين بنسبة 60 % للفرنسيين و 40 % للاصلاحيين التونسيين وقد ظفر هؤلاء بمقاعد فى القسم الاهلى من المجلس الكبير وجهروا بمطالب اصلاحية سياسية فى جريدة يومية كان يديرها الشاذلى القسطلى وتسمى « **النهضة** » ·

أما **الحزب الاشتراكى** فكان يجمع نخبة من المحامين والاساتذة والاطباء الفرنسيين المتبجحين بالاشتراكية فى جريدتهم « **تونس الاشتراكية** » (Tunis-Socialiste) وكانوا فى منأى عن الشعب ، فلم تتعاطف معهم الا ثلة من التونسيين المتزودين بالثقافة الفرنسية **كالمحامى محمد نعمان** قبل انفصاله عنهم وانضمامه الى الحزب الحر الدستورى (الجديد) وتعهده بالدفاع عن **الزعيم الحبيب بورقيبة** فى قضية المؤامرة ضد أمن الدولة الفرنسية ·

وعلى غرار الحزب الاشتراكى الفرنسى لم يتسع نفوذ **الحزب الشيوعى** فى تونس بل انحصر تأثيره الاديولوجى فى ثلة من المثقفين يتقدمهم « **جان بول فينيدورى** »(Jean Paul Finidori) وفى جماعة من الكادحين وبالخصوص عمال المناجم المنخرطين فى « جامعة عموم العملة الاتحاديين » (CGTU)

---

(1) « L'Avenir Social » 21 décembre 1924 « Nationalisme et Communisme - La lutte des Partis » par Le Moujik.

التابعة للعالمية الثالثة فيموسكو • وكان للحزب الشيوعي فيتونس آنذاك جريدة باللغة الفرنسية تسمى « **المستقبل الاجتماعي** » (L'Avenir Social) فلما ضايقتها ادارة الحماية ثم عطلت صدورها (1) ظهرت على التوالى بأسماء مختلفة هى « النضال الاجتماعي » (Le Combat Social) » والفجر الاجتماعى » (L'Aube Social) و « المعركة الاجتماعية » (La Bataille Sociale) و «الثورة الاجتماعية » (La Révolte Sociale) و « البروليتير » (Le Prolétaire) (2) •

وتجمع المعمرون وأصحاب رؤوس الاموال الفرنسيون في حزب استعمارى متطرف قاوم الحركات القومية والنزعات التحررية الوطنية فى البلاد فساندە الجيش الفرنسى وشدت أزره الكنيسة وكان **لحزب المعمرين** جريدة « **تونس الفرنسية** » (Tunisie Française) وفى عنوانها دليل على مقاصدها الاستعمارية التوطينية الادماجية •

◆ انضمام الحزب الحر الدستورى (القديم) الى الجبهة الائتلافية :

من المفيد التذكير بالجو السياسى بفرنسا فى ظروف انبعاث الحركة العمالية التونسية بقيادة محمد على • ففى يوم 14 جوان 1924 عين « ايدوار هريو » رئيسا للحكومة الفرنسية وكان آنذاك يتزعم **الجبهة الائتلافية** (Le Cartel) التى ضمت أحزاب الوسط واليسار • وقد صرح فى ديسمبر سنة 1924 أمام البرلمان بأن حركة محمد على تهدد الحضور الفرنسى فى تونس خاصة وفى شمالى افريقيا عامة فكانت تصريحاته مساندة رسمية لمدبرى المكيدة « جوهو » (Jouhaux) و « دوريل » (Durel) والمقيم العام « لوسيان سان » (Lucien Saint) الذين اعتزموا الاطاحة بأول حركة نقابية تونسية • واذ جنحوا الى الترهيب فانهم اتهموا قادتها بالتواطؤ مع الشيوعية وبالتآمر على أمن الدولة (3) وزعموا أن محمد على

---

(1) « L'Avenir Social » 15 Février 1925 - L'Avenir Social en correctionnelle.

(2) Voir Mohamed Dabbab « Index des Revues et journaux Tunisiens de Langue Française de 1907 à l'Indépendance (1956) ». Cahiers du CERES, Tunis 1973.

(3) « L'Avenir Social » 15 Février 1925 - Sur la bonne voie - par A.S.

الحامى صنيعة الدعاية التركية والالمانية (1) لينزلوا الرعب فى نفوس الدستوريين القدامى الذين ساندوا حركته فى البداية ، ثم أغروهم باصلاحات تكون من نصيبهم اذا انضموا الى جبهة ائتلافية تجمع بينهم وبين الاشتراكيين والاصلاحيين ، فانزلق الدستوريون ووقعوا فى فخ ادارة الحماية بانضمامهم الى الجبهة الائتلافية وبمساندتهم الاصلاحات الخيالية ثم بتعهدهم للاشتراكيين باستعمال نفوذهم الادبى لاقناع محمد على ورفاقه بحل جامعتهم وبترغيب العمال التونسيين فى الانضمام الى الجامعة الفرنسية فاستبشرت بالنبأ جريدة «**تونس الاشتراكية**»(2) يوم 20 فيفرى سنة 1925.

ثم نشرت « **النهضة** » بعد يومين بلاغا ينصح العمال بما أراده الاشتراكيون وادارة الحماية وأمضى البلاغ أحمد الصافى وحسان ڤلاتى وصالح فرحات وعبد الرحمان اللزام والبشير العنابى ومحيى الدين القليبى والطاهر التوكابرى ومحمد شنيق وأحمد توفيق المدنى وبوبكر تريمش وعبد الرحمن الكعاك والطيب الجميل والشاذلى القسطلى ومحمد صالح ختاش (3) .

ونقلت خبر انضمام **الحزب الحر الدستورى** الى الكتلة الائتلافية (Le Cartel) صحف تونسية أخرى كـ « **افريقيا** » و « **الزهرة** » يوم 23 فيفرى سنة 1925 و « **الصواب** » يوم 27 فيفرى سنة 1925 واستنكرت النبأ جريدة « **المستقبل الاجتماعى** » (L'Avenir Social) (4) يوم 22 فيفرى ، ثم نشرت بعد سبعة أيام بيانا هاما حددت فيه « جامعة عموم العملة التونسيين » (CGTTT) موقفها النقابى واحتجت على تدخل الاحزاب فى شؤونها وعلى محاولة الاطاحة بها وادماجها فى جامعة عموم العملة (الفرنسية) (CGT) (5) .

---

(1) « L'Avenir Social » 28 décembre 1924 - Le bloc des Gauches contre le syndicalisme.

(2) « Tunis - Socialiste » 20 Février 1925 - L'Union est faite : le Destour adhère à notre programme.

(3) أ ـ « النهضة » 22 فيفرى 1925 .
ب ـ ◆ الطاهر الحداد « العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية » ط الدار التونسية للنشر 1966 ص 211

(4) « L'Avenir Social » 22 Février - Vive la CGTT.

(5) L'Avenir Social » 29 Février 1925 - Confédération Générale Tunisienne du Travail - Manifeste - (Dans le même numéro voir « Le Marché de Judas » par Le Moujik).

وتعاقبت فى جريدة « افريقيا » بيانات اللجنة التنفيذية لجامعة عموم العملة التونسيين بامضاءات أعضائها وخاصة **الطاهر الحداد** داحضة تهمة انتمائها الى الحزب الشيوعى (1) وتأثرها بايديولوجيته .

ونفت تلك التهمة أيضا الجريدة الشيوعية المسماة « النضال الاجتماعى » واعتبرتها خطأ فادحا (2) . وكان القادة النقابيون كالطاهر الحداد يجيبون خصومهم بأن منظمتهم نقابية تؤدى للعمال خدمات انسانية بعيدة عن التأثيرات السياسية (3) .

• تأييد ثم مناهضة لحركة محمد على من قبل الدستوريين :

ويبدو أن الدستوريين القدامى ساندوا الحركة العمالية التونسية فى بدايتها خشية ألا تفلت من أيديهم مقاليد الزعامة الوطنية بظهور نضال ثورى

---

(1) أ ـ « افريقيا » 26 فيفرى 1925 « أين المؤامرة والى متى ؟ » . بقلم الطاهر الحداد .
ب ـ « افريقيا » 2 مارس 1925 « المعتقلون فى تهمة المؤامرة » بقلم عصام .
ج ـ « افريقيا » 2 مارس 1925 « نظرة طائرة فى جو مظلم ـ فكر معى » بقلم محمد بن سالم .

(2) « Le Combat Social » 24 Mai 1925 - Campagne Sournoise.

(3) أ ـ « افريقيا » 9 مارس 1925 ـ حول تصريحات المقيم العام لاحد محررى جريدة المتان ـ افتتاحية بقلم **الطاهر الحداد** .
ب ـ « افريقيا » 9 أفريل 1925 ـ شىء من تصريحات المقيم لمكاتب جريدة البتى ماتان بقلم **الطاهر الحداد** .
ج ـ « افريقيا » 4 ماى 1925 ـ كلمات عديمة المنفعة بقلم **الطاهر الحداد**
د ـ « افريقيا » 11 مارس 1925 ـ فى بلادنا محرومين من الحرية بقلم **الطاهر الحداد**
هـ ـ « افريقيا » 25 ماى 1925 ـ اعترافهم بحركتنا بعد انكارها فى قضية المؤامرة بقلم **الطاهر الحداد**
و ـ « افريقيا » 23 فيفرى 1925 ـ جامعة عموم العملة التونسيين . ـ بلاغ

جماهيرى أجدى من عماهم الحزبى المحتشم القائم على « الدعـوة لسياسة المشاركة » وعلى استعطاف الحكومة الفرنسية لتمن على وجودهم « باصلاحات فى دائرة قانون الحماية » حسب تعبير **محمد محيى الدين القليبى** عضـو اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستورى فى مقال له بعنوان « شغب وتضليل ومكابرة عجيبة » نشره فى جريدة افريقيا (1) تعريفا برائد الحركة العمالية التـونسية ودفاعا عنه ودحضا لمزاعم « ادوار هريـو » (Edouard Herriot) رئيس الوزراء الفرنسى الذى صرح أمام برلمان بلاده بأن **محمد على دستورى** فلما فند الحزب الحر الدستورى ذلك الخبر فى برقية وجهها الى رئيس الحكومة الفرنسية تراجع « هريو » عن تلك التهمـة وادعـى أن **محمد على شيوعى** . فلما أراه النائب البرلمانى الشيوعى « برتون » نص البرقية التى تبرأ فيها محمد على من الارتباط بالاحزاب السياسية أجاب « هريو » بأن رائد الحركة النقابية التونسية **وطنى مهرج** (2) **نصير الاتراك والالمان** (3) .

ولا عجب أن يجهر « هريو » بتلك التصريحات المتناقضة ويردد الشائعات المتضاربة التى روجتها ادارة الحماية وكذلك الحزب الاشتراكى الفرنسى لايهام الرأى العام بأن البلاد التونسية فى هيـاج سياسـى قد يفضـى الى ثـورة شيوعية (4) ألا ترى أن اعداء جامعة عموم العملة التـونسيين فى الجبهـة الائتلافية لاحزاب الوسط واليسار بفرنسا وتونس يتكلمـون نفس اللغـة و « هريو » هو زعيمهم والناطق بلسانهم ؟

ويبدو أن الهلع أصاب **اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستـورى** عندمـا اتهمتها ادارة الحماية بتأييد محمد على وصورت خطـر الهيجـان فى البـلاد مزدوجا من الوطنيين الدستوريين ومن الشيوعيين وأمرت فى يوم 5 جانفى

(1) « افريقيا » 2 فيفرى 1925 « شغب وتضليـل ومكابرة عجيبـة » بقلم **محمد محيى الدين القليبى** .

(2) « افريقيا » 23 فيفرى 1925 ــ جامعة عموم العملة التونسية ــ حوادث التفتيش والايقاف .

(3) « L'Avenir Social » 8 Mars 1925 - Le Havre, Bizerte et Hammam-Lif » par El Motarebbi.

(4) a - « Tunis Socialiste » 7 février 1925 - Le Complot et la presse tunisienne.
2) « Tunis Socialiste » 21 février 1925 - Un Complot.
b) « Tunis Socialiste » 20 Mai 1925 - Le Malaise tunisien : Communisme et Nationalisme.

سنة 1925 بتفتيش بيت **أحمد توفيق المدني** كاتب الحزب الحر الدستوري وكذلك مقر سكنى **محمد علي** الكاتب العام لجامعة عموم العملة التونسيين ومنزل « **فينيدوري** » (Finidori) الكاتب العام للحزب الشيوعي بتونس (1) ومطبعة الجريدة الشيوعية « لافنير سوسيال » ومكاتب ادارتها (2) . فما كان خلاص الدستوريين من المكيدة الا يتبرئهم من حركة محمد علي وبمساعدتهم « درويل » بعد أن كانوا مؤيدين لرائد الحركة النقابية التونسية . ولم يكفهم التخاذل في بلادهم فأرسلوا وفدا الى باريس ليحتج مع نواب **المجلس الكبير والحزب الاشتراكي** على تصريح النائب البرلماني الشيوعي « برتون » بأن « لفرنسا حقا واحدا في تونس هو الاقلاع عنها » (3) .

ما كان قادة الحزب الحر الدستوري يعرفون محمد علي قبل بروز شخصيته فجأة في الميدان الاجتماعي عقب عودته الى وطنه من برلين كما كانوا يعرفون مثلا صديقه الطاهر الحداد الدستوري القديم . فقد باغتهم محمد علي بأسلوبه النضالي الجديد الذي أخرج الكفاح الوطني حينا من الدهر من النوادي الضيقة الى أماكن التجمهر الشعبي فاتصل بالكادحين حيثما كانوا سواء فيالاسواق أو في الموانى أو في المناجم أو في المعامل فخشي الدستوريون القدامى أن تفلت من أيديهم خيوط الزعامة السياسية الوطنية فتقربوا اليه ودافعوا عنه وساندوه في البداية عندما تضخم دوره فأدركوا قوة حركته الشعبية قبل أن يتسمم عليه الجو السياسي في البلاد . ويمكنك لمزيد التيقن من تلك المساندة أن تراجع عددي 7 نوفمبر سنة 1924 و 3 جانفي سنة 1925 من الجريدة الدستورية « **الليبرال** » (Le Libéral) (4) باللغة الفرنسية .

◆ **مصدر المناهضة الحقيقية لحركة محمد علي :**

أما المناهضة الحقيقة لحركة محمد علي فمصدرها الرئيسي كما علمت ادارة الحماية والحكومة الفرنسية نفسها والحزب الاشتراكي الفرنسي وغلاة المعمرين فهؤلاء أيضا قد بوغتوا بظهور حركة اجتماعية جريئة تبث بذور التحرر من

(1) « L'Avenir Social » 11 janvier 1925 - A Bas le despotisme.

(2) « افريقيا » 12 فيفرى 1925 ـ الاعتقال والتفتيش (افتتاحية) .

(3) Ch. A, Julien « L'Afrique du Nord en marche » p. 7.

(4) صدر من « الليبرال » خمسون عددا من 29 نوفمبر 1924 الى 16 جانفي 1926 .

كابوس الظلم فى الشعب التونسى وترفض سياسة الادماج فى الميدان النقابى وتناهض المستعمرين الذين يرومون فرنسة البلاد وتنصيرها وتوطين جالياتهم فيها .

وقد عبر « ما نشيكور » الذى اشتغل مراقبا مدنيا عن وجهة نظر غلاة المعمرين فى عدد نوفمبر سنة 1924 من مجلة « **افريقيا الفرنسية** » (1) حيث كتب ما يلى بامضاء مستعار كعادته هو « رد بالك » (أى كن حذرا)

« ان الشعب التونسى الجديد الذى نعده يتكون من الفرنسيين الواردين من فرنسا وكذلك من الروسيين البيض ومن اليوغسلافيين والايطاليين ومن جميع العناصر اللاتونسية اللاعربية اللاافريقية اللامسلمة التى تختار الجنسية الفرنسية »

وتدرك من اعترافات « **منشيكور** » أنه كان مثل العديد من **الغلاة يحلم بشعب فى تونس** مفرنس **منصر** فى حين كان **الوطنيون** يترصدون الفرص للدفاع عن **الشخصية** التونسية ويحلمون بالحرية كما تبينه العينة التالية : ان الذين يسعون الى سياسة الادماج **ويريدون القضاء** على **الذاتية التونسية يعملون بكل قواهم** لمحو مميزات هذه **الذاتية وازالة معالمها الموجودة** ويعارضون بل يقاومون كل مؤسسة يراد احداثها من جديد **ويريدون أيضا أن نبقى تابعين فى جميع احتياجاتنا ومرافق** حياتنا **لمؤسسات فرنسية** فكأنهم قضوا على هذه الامة بأن لا حق لها فى الحياة ، لذلك فهم يعارضون بفكرة سياسية تأسيس هذه الهيئة الاجتماعية (يعنى ـ جامعة عموم العملة التونسيين) ويريدون أن يكون العمال تابعين للجامعة الفرنسية وزمام أمورهم بيد غيرهم بعد أن تبين لهم استحالة اتصالهم بحقوقهم من هذا السبيل » (2) .

• الخطة النضالية كما تطورها محمد على :

فى تلك الظروف الصعبة جرؤ محمد على الحامى على تحدى « منشيكور » وأشباهه من غلاة حزب المعمرين الذين راموا تفجير الهيكل التونسى

(1) « L'Afrique Française » - Novembre 1924.

(2) « افريقيا » 19 جانفى 1925 ـ جامعة عموم العملة وموقف الحكومة ازاءها .

الاقتصادى والاجتماعى والدينى والثقافى ليقيموا مقامه مجتمعا آخر فرنسيا ولما كان محمد على مقيما ببرلين أداه تفكيره الطويل فى أسباب ضعف شعبه وتخلفه الى اعتقاد أن النهضة الادبية واليقظة الروحية والوعى السياسى لا تحقق وحدها تقدم البلاد متى لم تدعم برقى اقتصادى واجتماعى فاختار علم الاقتصاد فى تخصصه الجامعى ، ثم تعلقت همته بغاية عسيرة هى تنظيم الاقتصاد التونسى بواسطة التعاونيات لمواجهة رؤوس الاموال الاجنبيةالطاغية فكان ذلك « حلما من أحلام الفلاسفة بالنسبة الى الوسط الذى هو فيه على حد قول **الطاهر الحداد** فى كتابه « العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية » • (1) ومهما يكن الامر فقد مهد المشروع الاقتصادى لمحمد على تنظيم الجماهير الشعبية الكادحة فى « جامعة عموم العملة التونسيين »

• تأييد الحزب الشيوعى لحركة محمد على :

ويظهر أن محمد على لم يستنكف من تأييد الحزب الشيوعى لحركته ومن وجود عضوين شيوعيين فى اللجنة التنفيذية لجامعة عموم العملة التونسيين هما **أحمد بن ميلاد** (2) **والمختار العيارى** (3) • وقد كان رضاه بتلك المساندة اضطراريا لان السند السياسى الوحيد الدائم لحركته قد جاءه من الحزب الشيوعى فى حين عزفت الاحزاب الاخرى عن تأييده بل قاومته •

ولدينا وثيقة تثبت ترافق ثالوث من جامعة عموم العملة هم **محمد على والطاهر الحداد وأحمد الدرعى** يوم 11 نوفمبر 1924 ومعهم «**جان بول فينيدورى**» (Finidiori) الكاتب العام للحزب الشيوعى فى مهمة تحقيق بزغوان حول العقوبات التى سلطها على أهالى تلك البلدة المراقب المدنى « غرينييك » (Graignic) بعد اندلاع حريق بالجبل (4)

---

(1) الطاهر الحداد « العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية » ط • الدار التونسية للنشر 1966 ص 42 •

(2) « L'Avenir Social » 26 Octobre 1924 - Pour la discipline.

(3) « L'Avenir Social » 9 Novembre 1924 - S.E. Léon Jouhaux à Tunis.

(4) « L'Avenir Social » 16 Novembre 1924 - L'Etat de Siège Zaghouan - par J.P. Finidori.

ويبدو أن **الحزب الشيوعي** كان يرغب فى تبني الحركة العمالية التونسية مثلما حاول تبنيها فى البداية **الحزب الحر الدستورى** حسب شهادة البشير الفالح فى جريدة « المستقبل الاجتماعى » (1) فكان الشيوعيون يرصدون لها الاعانات المالية ويساندونها سياسيا فى جريدتهم (2) رغم تضايق الوطنيين **كالطاهر الحداد** من تلك المساندة كما أبينه بعد حين .

ومن الواضح أن الهيئة التنفيذية لجامعة عموم العملة التونسيين أكدت فى عديد من المناسبات حيادها السياسى كما فى بلاغها الصادر يوم 23 فيفرى سنة 1925 بجريدة « افريقيا » ومنه العينة التالية : « **ان الجامعة مؤسسة نقابية محضة ولا علاقة لها بأى هيئة سياسية ولا لهذه بها . وهى مؤسسة بارادة العملة ...** نحتج ضد كل تدخل من أى هيئة سياسية أو غيرها كان أو سيكون لمقاومة جامعتنا بمحاولة تعطيل سيرها » (3) .

◆ **دفاع الطاهر الحداد عن استقلال جامعة عموم العملة التونسيين :**

وما فتىء **الطاهر الحداد** يدافع عن ذلك الموقف **الحيادى بين الاحزاب والايديولوجيات** فى جامعة عموم العملة التونسيين وينفى عنها الانتماء الى الشيوعية أو الى تشكيلة حزبية أخرى ويكشف عن أبعاد التهمة الملصقة بها ويدحضها. وهاك ــ لمزيد التيقن من أصالة رأيه ــ عينة من مقال له فى جريدة « افريقيا » .

« ... قامت الجامعة بخدمة انسانية عالية فى دائرة الاقتصاد الخالص . **واذا قلنا انها لا علاقة لها بالسياسة ولا بمؤسساتها فليس ذلك من باب التمويه والتدجيل ... لعلكم (الخطاب لخصوم الجامعة) تفهمون من استحسان الشيوعيين لتأسيس الجامعة ودفاعهم عنها فى بعض ما ترتكبونه ضدها من**

(1) « L'Avenir Social » 31 Août 1924 - Mise au point par Falah Béchir

(2) - a) « L'Avenir Social » 5 Octobre 1924 - Les Politiciens Social - impérialistes contre les indigènes - par Mokhtar El Ayari.
e) « L'Avenir Social » 29 Février 1925 - A l'aide aux prisonniers.

(3) ــ أ « افريقيا » 23 فيفرى 1925 ــ جامعة عموم العملة التونسية ــ بلاغ الى الكافة .
ــ ب ــ « افريقيا » 19 جانفى 1925 ــ جامعة عموم العملة وموقف الحكومة ازاءها ــ بقلم عصام

المظالم انها بذلك تكون شيوعية ! اذن فما هي الطريقة التي تشيرون بها علينا في الجام هذه الافواه عن اعلان استحسانها للجامعة ودفاعها عنها في بعض المواقف حتى نتقى بذلك شر هذه التهمة · فاذا كانت هناك طريقة تعرفونها فلماذا لا تشيرون بها علينا فان امتناعكم من ذلك يعد عليكم توريطا لنا في **هذه الشيوعية التي ادعيتموها** وقصدا منكم لاقامة **تهم مفتعلة تضربون بها الاشخاص والمؤسسات خصوصا غير التابعة منها للمؤسسات الفرنسية(1)»**

وهاك عينة هامة من مقال آخر **للطاهر الحداد** دحض فيه ما نسبه المقيم العام الى حركة محمد علي من انتماء الى الشيوعية :

« لا يا مسيو سان كان يجب عوض تهويل الشيوعية بتونس ثم تصوير قتلها بأيديكم أن تعلنوا الغرض الحقيقي في مقاومة جامعة عموم العملة التونسية وأن تذكرها باسمها الحقيقي فتصرحوا لنا **بعدم رضاكم عن مؤسسة في تونس لا تندمج في المؤسسات الفرنسية** وتدعوا هذه الشيوعية المكبرة ترتاح من كثرة الاستعمال وهناك يمكن لكل أحد أن يفهم الحقيقة » (2)

واذ نفى **الطاهر الحداد** كل علاقة ادبولوجية بين الحركة العمالية التونسية الاولى والحزب الشيوعي فلا موجب لاعتبار موقفه وموقف محمد علي ومن لف لفهما في جامعة عموم العملة التونسيين نقية وقائية لان الشيوعيين رغبوا في تبني تلك الحركة النقابية الشعبية · فلو اكتشفوا اتجاها ماركسيا في تفكير محمد علي الحامي ـ على حبه للاشتراكية ذات الطابع القومي ـ وفي تفكير عديد من رفاقه المتمسكين بأصالتهم التونسية العربية الاسلامية لاستغلوه وتباهوا بكسب جديد لحزبهم في جريدتهم « المستقبل الاجتماعي » (L'Avenir Social) كما كشفوا عن انتماء **المختار العياري وأحمد بن ميلاد** الى الحزب الشيوعي ·

◆ **مشارب سياسية متباينة في حركة محمد علي :**

تجلى لك الآن أن أول حركة نقابية تونسية جمعت في بدايتها على الاقل بين شبان ذوي مشارب سياسية وايديولوجية متباينة · **فمنهم الشيوعيون**

(1) « افريقيا » 9 مارس 1925 ـ حول تصريحات المقيم العام لاحد محرري جريدة « المتان » (افتتاحية بقلم الطاهر الحداد)

(2) « افريقيا » 9 أفريل 1925 « شيء من تصريحات المقيم لمكاتب جريدة البتي ماتان ـ بقلم الطاهر الحداد

كأحمد بن ميلاد والمختار العيارى (1) والطيب دباب (2) • ومنهم الدستوريون **كالطاهر صفر وأحمد توفيق المدنى والطاهر الحداد وأحمد الدرعى** ومنهم من لا ينتمى الى **حزب سياسى** ولكنه على كل حال يتمسك بأصالة الانتماء الى قوميته التونسية العربية الاسلامية وينزع **نزعة اشتراكية** تقبل **تعايش الفئات الاجتماعية** وأعنى خاصة **محمد على الحامى** الذى لم يذكر اسمه فى الجريدة الشيوعية « لافنير سوسيال » الا بعد مضى ثلاثة أشهر على ظهور حركته النقابية رغم كونه دماغها الاول • فلم تخبر تلك الجريدة عن حركته طوال تلك المدة الا بواسطة أفراد ينتمون الىالحزب الشيوعى كأحمد بنميلاد والمختار العيارى(3) مما يدل **على تحرر** محمد على الحامى من تبعية الاحزاب السياسية• وهل أدل على ذلك من **جهره بعدم رضاه عن أساوب الكفاح الصالونى فى الحزب الحر الدستورى** (القديم) حسب ما رواه عنه صديقه الطاهر الحداد فى كتابه « العمال التونسيون وظهر الحركة النقابية » • فاقرا له هذا الخبر : « لطالما كان يتأثر **ويلوم كثيرا المفكرين ومن وضعوا أنفسهم فى مركز قيادة الامة** كيف لا يجتمعون بالناس الا اذا كانوا فى ناد خاص بأسلوب خاص على منبر خطابة وهو قدر لا يكفى للتعارف الحقيقى بينهم وبين الامة ، بل ربما جعلها تشعر بتفوقهم عليها واستحقاقهم للحياة أكثر منها ، فتنكسر نفسها أمامهم• وهذا يجعلها بعيدة عن ادراك معنى الحرية الحقيقية التى يجتهدون هم فى شرح معناها » (4) •

ووجد أعداءأول حركة نقابية تونسية فى تباين المشارب السياسية والاديولوجية لقادتها ذريعة لايهام الرأى العام بأنهم يمثلون تجمعا توفيقيا بين الحزب الشيوعى والحزب الحر الدستورى يستهدف القضاء على الحماية

---

(1) « L'Avenir Social » 9 Novembre 1924 - S.E. Léon Jouhaux à Tunis - (Mokhtar El Ayari y est reconnu comme communiste).

(2) الطيب دباب كان محررا بالجريدة الشيوعية « لافنير سوسيال » التى تغير اسمها مرارا لمراوغة أحكام التعطيل وللصدور من جديد • راجع مثلا « L'Avenir Social » 25 Avril 1925 - Le Complot contre L'Avenir Social.

(3) « L'Avenir Social » 16 Novembre 1924 - « L'Etat de Siège à Za--ghouan » par Finidori, (M'hamed Ali y est cité pour la première fois dans une mission à Zaghouan).

(4) الطاهر الحداد « العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية » مطبعة العرب بتونس سنة 1927 ص 130

الفرنسية (I) وهكذا سهل على المستعمرين استئصال جامعة عموم العملة التونسيين من جذورها باعتقال دماغها المفكر وقائدها الاول محمد على الحامى ثم بتغريبه مع جماعة من رفاقه خارج وطنهم ابتداء من عشية يوم 28 نوفمبر سنة 1925 ورغم فشل حركة محمد على فانها مهدت السبيل لحركة الحزب الحر الدستورى (الجديد) بقيادة الزعيم الحبيب بورقيبة المعترف فى احدى محاضراته على منبر معهد الصحافة وعلوم الاخبار بتأثره فى تكوينه السياسى بذلك الزعيم النقابى . (I)

احمد خالد

سوسة فى 5 / 10 / 1975

(I) الحبيب بورقيبة « المحاضرة الرابعة عن تاريخ الحركة القومية » بتاريخ 9 نوفمبر 1973 ـ راجع :

أ ـ « العمل » 11 نوفمبر 1973 ص 8 . وراجع أيضا :

« L'Action » 10 Novembre 1973 p 5 et

« L'Action » du 11 Novembre 1973 p 5.

◆ **الجندى التونسى ثلاثة آلاف سنة من المجد :**

اهدانا مشكورا الاستاذ محمود بوعلى كتابه الجديد عن **الجندى التونسى** وتاريخه والبطولات التى خاضها منذ أوائل التاريخ الى اعلان الاستقلال وهو مزمع حسبما نعلم على المضى فى استقصاء هذه البطولات نشكره على هديته ونتمنى أن نقرا له كتبا أخرى .

◆ أهدانا مشكورا الاستاذ عبد الحفيظ منصور نسخة من الفهرس العام للمخطوطات فى فهمه الاول وهو رصيد مكتبة المرحوم حسن حسين عبد الوهاب نشكره على هديته ونتمنى له اطراد العمل فى هذا الحقل الهام من المعرفة .

◆ أهدانا مشكورا الاستاذ فاضل السباعى مدير الشؤون الثقافية بجامعة دمشق روايته **رياح كانون** الصادرة عن دار اليقظة العربية ببيروت ودار القصة بحلب . نشكره على هديته الثمينة وسنوافى القراء فى عدد قادم بعرض لهذه القصة ان شاء الله .

قدري ... ! (*)

شعر : أحمد اللغماني

قَدَرِي : أنّني أغُضّ عيوني — رغم شوقي - عن كل ما يستبيني
ليَ قلبٌ أتواقُهُ مَا لَهَا حدّ ، الى كلّ لذة يدعوني
وضميرٌ يقظانُ ، لا يُغمض العين ، شديدٌ ، يردُّني لليقين
فاذا فاعِي يسور بينَ ضلوعي ، ووَقاري ينامُ فَوق جبيني
تلك حال كشفتُها بين احوالي وشأن صورته من شؤوني
آنَ أنْ أرفعَ النّقاب قليلا وأزيحَ السّتار كيْ تعرفوني
قَدَرِي : أنني أذَلّ أشعاري وإنّي بها لجِدُّ ضنين
لستُ بالمُستخفّ بالشعر ألقيه ذليلا ، ولستُ بالمُستهين
كلّ بيت منه أغذّيه من دفق عروقي ، ومن ضياء عيوني
انا أهوى قصائدي دون تمييز فكلّ بأختها تغريني

* * *

هُنّ نبضي ، وهُنّ أخلص أنفاسي وروحي صوّرتُها بيميني
فتَرَاهَا حينا كألسنة النّار وحينا كقطرة من معين
هُنّ أغلَى عليّ من كل غال ، ولدَيْها يهون كلّ ثمين
لَمْ أذلّلْ قصيدة في حياتي لم أسُمْهَا بالخسف أو بالهُون
والقليل القليلُ من قدّروها وأقلّ القليل من أنصفوني
والكثير الكثير من شوّهوا قصدي وفي صِدْق لهجتي اتّهَمُوني

(*) ألقيت هذه القصيدة أمام المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية بمناسبة الذكرى العشرين لرجوعه من المنفى .

أنزلُوني من المنازل أدناها   وفي أبشع الرؤى صوّروني
أرأيتُم كيف الوفاء يُجازَى   بالتجني ، والمسخ ، والتلوين ؟
وتريدون أن أمرّ وأنسى ؟   كيف أنسى ؟ وما الذي يُنسيني ؟
قدري : أنّني مُقيمٌ على عهدي   وباقٍ على وفائي المتين
لا اللّيالي غيّرْنَ منّي ، ولا الأيام   أفرغْنَ من سناكَ جفوني
أنت باقٍ - يا سيّ الحبيب - بآفاقي   - كما كُنْتَ - كوكبا يهديني
ورباطا يشدُّني لشبابي ،   وحنينا يهفو اليه حنيني
وعنادا به أصارع أيامي ،   وضِمادا به ألفُ شجوني
رغمَ مرّ السنين مازلتَ تُوحِي   لحياتي بطفرة العشرين
يومَ كُنّا شبيبة تتحدّى   في جنون تحدّيات الجنون
كلّ قلب كأنّهُ جوف بُركان   يدّوي ما بينَ حين وحين
يقذف الموتَ إن أمرتَ ويَبقى   ساكنا إنْ دعوتَه للسكون
أنت صفّفتَنا سرايا تسدّك ...   البغيَ في حرب ردّة وفتون
كجنُود الخفاء كنّا ، وما كُنّا   مزاميرَ ضجّة ورنين
لم نُقدّرْ ، ولم ندبرْ ، ولم نجهر   بشيء من سرّنا المكنون
تلكَ كانت أخلاقُنا ، وهي درس   منكَ ، قد كان راسخ التّلقين
قد شبَبْنا عليه ، ثم اكتهلْنا   واعتقدْناه كاعتقاد الدّين .
بذْرةَ الخير كنتَ في كل قلب   تونسي الميلاد والتكوين
ونما الزرعُ ناجما ، ودنا الخير   جنّيا ، على فروع الغصون
ورعى الزرعَ من جنودك أفواجٌ   تُقتفّى المليونَ بالمليون
هم وجوه مجهولة نكراتٌ   لم تُميّزْ بالاسم والتّعيين
ملأوا ساحة النّضال صفوفا   رُصّ بنيانُها كرصّ الحصون
ثم غابوا ، لما انجلى عن جباه   العزّ ، ما كان شأنها من غضُون

أهلُ فضلٍ أولئك المُتَوَارُون   عن الشمس ، والصّغارُ الشؤون
أنتَ منهم في مُلتقى الرّوح بالرّوح،   وفي مُنْطوى المكان الامين

* * *

قدري : أنّ لي عقيدةَ صوفيٍ   وايمانَ رائد وخدين
تنتهي صبْوَةُ المُريد الى حدّ   دقيق ، كوهمِنًـا المظنون
أيُ حدٍ يقوم بين التُّقى والكفر ،   في دين عاشق مفتون ؟
إنَّني ما عرفتُ في الحب حدّا   فاصلا بين جامح ورَصين :
فتَراني أحبُ حب « الحواريِّين »   في سكرة الأسى والأنين
وتَرَاني حينا أحبّ بعنف المارد ...   المُسْتَطير ، والتنِّين
وتَرَاني طورا على مذبح « الحلاج »   بين القرآن والسكّين
تلك حال ألفتُها وهي بين الحين   والحين نوبة تعتريني
ومن الحب ما يكون اتّجَارا   رابحا بالمَكيل والموزون
ثمّ منه حبّ العبيد اذا كانت   طوايا المُحبّ دون الدّون
ثمّ حبّ الاحرار ، وهو عطاء   كجَدَا الغيث ، ليس بالممنون
أنت أدرى ـ يا سي الحبيب ـ بما   يُرضيك منه وبالذي يُرضيني

* * *

لكأني فلسفتُ حتى أضعتُ الفكر   في غيهب من التّخْمين
وترامت بيَ الخَوَاطر حتى   كِدْتُ أنسى ما هزّني منذ حين
كدتُ أنْسى أنّي احتَضَنْتُك في   روحي ، وفي مقلتي أغلى حَضين
يومَ أشرقْتَ منذُ عشرين عاما   خيطَ فجر يشُقُ ليل القرون
غرّة كنتَ في جبين « حزّيران »   فيا بهجةَ الجبين الحزين !
عُدْت عَوْدَ الانفاس تبعث روحا   مستجدّا في الهيكل الموهون

تمسح الحزْنَ راحتاك فيَنْجَاب ، وتنزاحُ غُصّة المسكين
عُدْتَ ضوءا على جفون الدرَاري وشَذى في مراشِفِ الياسمين
وربيعا الى الرّوابي الحزَانَى ساحرَ الوشْيِ ، رائعَ التّزيِين
وشموخا قد استقَلّ الى أعْلَى ... أعَالِيه شامخاتِ المُتون
ونشيدا مُدَوِيا هزّ أطراف البرَاري بروعة التّلحين
و« حماة الحمى » تطوف تباشِيرَ خلاص بسمع كل سجين
والملايين بحرُ شوق ترامى وَسَطَ البحر لاحتضان السّفين
وأنا في الخِضَمِ قطرةُ ماء يحتَوِينِي المَدَى ، ولا يحتويني

أ٠ ل٠

تحية للرئيس بورقيبة

شعر : عاتكة الخزرجي

1 ـ تحية وداع

مُتِّعْتَ ألفا يَا حبيبُ بِعيدكَ الحلو القَشيبِ
يا من تملّكْتَ القلُوبَ فِداكَ قَلْبِي أو نسيبي
أنت الذي جَمَعَ المحاسنَ نافحا من كلِّ طيب
ونفختَ في الشعب الطموح فصار غلاب الشّعوب
ورددْتَ للأنثى الحقُوقَ وصنتها من كلّ ذيبِ
وجمعْتَ بالحبِّ القلُوبَ مؤلّفا بين القلوب

* * *

مُتِّعْتَ ألفا يَا حبيبَ الشّعر يا شرف النسيب
بِالله العليِّ ابن الفواطم يا نجيبا من نجيب
شرفتْ بك الأيام وازدانت على حلي وطيب
وزهت بعهدك تونس الخضراء كالفَنَنِ الرطيب
وتساءل الدهر المدلّ عن الفتى الندب الأريب
ذي العزمة الشماء والزند الملوح بالخطوب
ذي السحنة السمراء ذي العينين ذي السحر العجيب
ذي البسمة السجواء نادية كأنفاس الطيوب
إن يسألوا عنه الجموع تجبهم هذا حبيبي
مُتعت ألفا يا رئيس وعشت للنصر القريب

النّصر صانعُه حجاك بحنكة الرأي المصيب
كم صَدّقتَكَ الحادثات وكذّبتْ دعوى المريب
وسَفَرتَ وضّاح الجبين كطلعة البدر المهيب
تعنو لك الدنيا وتهتف باسمك الحلو الحبيب
قَرُبَتْ بك الأقطار والتفت البعيد الى القريب
النصر تصْنعه يداك يدا الفتّى الحر الأريب

2 ـ هدية

ملكت القلب يا مولاي فاقبل إذن قلمي لتملكني جميعا
ولو اني استطعت لصغت روحي حجابا يحرس الحسن الرفيعا
جمعت الحسن في خُلُق وخَلق فسبّحْنَا بك المولى البديعا
سَمَوْتَ فَفُقْتَ حُكّامَ البرَايا وكنتَ بشعبك البَرّ السَّميعَا
حملتَ رسالة علينا فأكرِمْ بِكُمْ من مُرْسَلٍ بَهَرَ الجميع

ع. خ.

تصريح حب للارض والشعر

شعر : جعفر ماجد

هَذِهِ الأرْض وجهُهَا عربيّ عَادَ فِيهَا محمدٌ وعليّ
قَصَدُوا مسْخَهَا فلم يمسخوها وأرادتْ فَأُخْرِج الأجنَبِيّ
ودروسُ الكفاح إنْ شئتَ علْما ها هنا خُطّ حرْفُهَا الدمويّ
وحياة الشعوب إن طالَ فِيهَا حُلُمُ الأمس وادّعاه نَبِيّ
لم يَعُدْ للجهاد إذ ذاك معنى طالما كانَ للشعوب وصيّ
وإذا لم تعش ليوم سَيَأْتِي اسْتَوى الشيخ عندهَا والصبي
قدْ حَيينَا بمجدنَا ألفَ عَام وأفقنَا فلم يكُنْ مِنْهُ شيّ
فاترك الأمس إنه عاد مَيْتا وتحدثْ بيومهَا فهو حيّ
ثورة الشعب فِي الحقول استمرّتْ والعدوّ الجديد (إقطاعيّ)
أكل الأرضَ واستباح ثَراهَا وهو في الحقل عاطل ... وغني !!
هل عشقْت التراب يوْما فتَدْرِى أن حب التراب حب قويّ
إنما الأرضُ مثل حسنَاءَ بِكْر ليْسَ أهْلا لهَا الفتَى الهمجيّ
وحبيبُ التّرَابِ منْ جاءَ مِنْهُ فيه يَحْلُو صباحُهُ والعشِيّ
ساعدٌ أعْبَرٌ وكفٌّ حنونٌ وَفَمٌ باسم وقلب سخِيّ
كلّ غرْسٍ وكلّ نبْتَةِ زرْع لَهُمَا من ضَنَاهُ سُقْيَا ورَيّ
كيف يحيا عن الحقول غريبا وله فِي الطيور خلٌّ وَفِيّ
وله فِي الغصون أحلام عمر وبثغر الزهور وعْدٌ شهيّ

* * *

(I) ألقيت هذه القصيدة فى مؤتمر الأدباء العرب ومهرجان الشعر المنعقدين بالجزائر فى شهر أفريل من سنة 1975 .

قل لفلاحها إذا اغتصبوهَا ... قتَل الأرضَ حبُّنا القبليُ
أنت أحييْتَها رفيقِي فَصُنْهَا ... إنّ غَدْر اللصوص مرٌّ عتيٌ
قَدْ عرفناه خفية وجهارا ... ولَنَا فِي جلُودِنَا مِنْهُ كيٌ

* * *

شاعرَ العصر قد حَكَيْت كثيرا ... أيها الفذُّ ... أيُّها العبقري
يَا أسيرا يَعِيث فِيهِ أميرٌ ... وصريعا تعِيثُ فِيهِ بَغِيُ
قد هتكت الحروف كسرا وجبرا ... وتلوّنَت والظلام دجيُ
« عودة الوعي » أنت هل تدّعيها ... إن حبر المديح غَضٌ طري
و«بطلق الرصاص»(I)لو كنت تدري ... قبل كل الجناة أنت الحريّ
إنما الشعر ثورة وفداء ... لا كلام مزيّف حجري
حين يُغْتال كل فكرٍ أمين ... ويُصَفّى وجُودنَا البَشَري
وتعود الحياة سجنا كَبِيراً ... فيه يلقى الهوان شعب أبيّ
حينَ يُمسي الإنسان رقما ... من الأرقام يُخفِيه وضْعه العددي
ينْبت الوردُ من جراح الضحايا ... ويمُوت المُهَرّج اللغوي
أيّ كأسٍ و أيّ ثغْر .. ونهْدٍ ... أيُّ عيدٍ وأيّ ذكرى وأيّ ؟...
كم مدَحْنَا وكم ضحكنَا ونحناً ... وكَذَبْنَا وكل شيء جليٌ
سَئِمَ الناس ما كتبنَا وقُلْنَا ... لم يَعُدْ للنُّباح فيهم دَوِيُ
عيّرونَا .. وحَقّرونا .. وقالوا : ... شاعرٌ ! .. مثلما يُقَال : خصِيُ !
هكذا نحن فِي الظلام انتهينا ... وانتهى الدّيْلميُ والبُحتُريُ
إنّ بحرَ الحياةِ والموجُ عَالٍ ... ليس يطويه زورقٌ خَشَبِيّ
كرةُ الأرض سُطّحت واستدارتْ ... وتَسَاوى قريبُهَا والقصيُ

(I) « عودة الوعى » كتاب لتوفيق الحكيم و « على من أطلق الرصاص » مقالة لصالح جودت هاجما فيهما عبد الناصر بعدما طبلا وزمرا للناصرية !

لم يَعدْ فوقها مكانٌ لشعر هو جسم محنَّطٌ وثَنِي
قد تَآختْ شعُوبُهَا في نضالٍ عَمّ كَالشمس مَدّها الثوريّ
وأتَانَا من الجليل نداءٌ : إنّه البَعْثُ أيُّهَا العَرَبيُّ !

ج٠ م٠

كتب جديدة

وصلتنا هذه الكتب المنشورة حديثا مهداة من أصحابها ونحن اذ نشكرهم على هداياهم نتمنى لهم اطراد الانتاج ومزيد التوفيق ٠

- « **الجنس فى الاسلام** » (بالفرنسية) تأليف عبد الوهاب بوحديبة

- « **44٠000 كيلومترا فى أمريكا اللاتينية** » لرشاد تريمش مع مقدمة كتبها مدير الفكر محمد مزالي ٠

- فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (ج 2 م 50) يحتوى على دراسة للدكتورة عاتكة الخزرجي بعنوان : « **ديوان الوفاء في مراثي النساء** » ٠

- « **دراسات فى اللغة والحضارة** » مجموعة من الدراسات التى قدمت فى ملتقى ابن منظور لسنة 1975 ٠ جمع ونشر وزارة الشؤون الثقافية ٠

الطفل في الادب العربي (*)

بقلم : محمد العروسي المطوى

أ ـ أمام المسؤولية :

عندما وضعت امامى عنوان البحث المطلوب عن « الطفل فى الادب العربى » فى المؤتمر العاشر للادباء العرب رأيت العنوان واسعا فضفاضا ، ممتد الاطراف ، غير محدود المساحة غائم الضبط . ولكنى ايقنت انه ليس المراد من ذلك الكشف والاحصاء لما تناول به الادب العربى قديمه ، وحديثه ، موضوع الطفل او تأثير الطفل فى خالقى ذلك الانتاج . بل المراد منه هو « .. ماذا يريده الطفل من الادب العربى .. » وموقفنا من تلك « الارادة » خاصة فى ظرف التحول الشامل الذى يستهدف المجتمع العربى الحديث . وما يقتضى ذلك من تسخير الطاقات وضبط الخطط ، ومنهجية المسيرة فى سبيل الوصول الى الهدف المنشود .

واذا كان الادب ـ كخلق وانتاج ـ هو انعكاسية العاطفة والوجدان بما نعبر عنه بألفاظ وكلمات فان تلك الانعكاسية لا تعنى فقط الاستحضار لما فات ، أو التشخيص لما نعيش ، وانما تعنى كذلك ـ بصورة أشد الحاحا ـ تبيان التطلعات التى ينبغى أن تكون وان توجد . من هنا تتضح جسامة المسؤولية التى تقع على عاتقنا كخلاقين ومنتجين ، كما يتضح مدى الالتزام المفروض علينا فى هذا المجال . وهذه المسؤولية او ذلك الالتزام انما ينصبان على المستقبل اكثر مما ينصبان على الحاضر ، لان القضية تتعلق بمستقبل الامة العربية نفسها .

ب ـ المستقبل والمسؤولية :

ليس من العيب فى شىء اذا قلنا : اننا ضمن مجموعة الشعوب المتخلفة فى العالم ، وان علينا ان نعمل أكثر وأكثر فى سبيل اللحاق بركب الحضارة

(*) قدمت هذه الدراسة فى مؤتمر الادباء العرب العاشر الذى انعقد بالجزائر فى أفريل 1975 .

والتقدم • ولن يتم ذلك الا بتدارك مظاهر النقص وازاحة عوامل التعويق ، وتلك أمور لا يمكن ان يكون ميدانها الاجيال التى فاتها ذلك •

ولا امانع اذا قلت : انها فاتت كل من وصل مرحلة الدخول للمدرسة بله المعهد والكلية ، والمعمل والادارة — لانى أعتبر أن كل أولائك وصلوا مرحلة « الشيخوخة » التى ينطبق عليها المثل « بعدما شاب دخل الكتاب » ذلك ان هذه الشيخوخة التى أعنيها يمكن ان تنطبق على كل من فاتهم التكوين ، أو هم يعيشون تكوينا مشوها أبتر •

واذا ناقش المؤتمر العالمى للكتاب المنعقد فى نيس سنة ١٩٧١ قضية « خيال الطفل ومستقبل العالم » وناقش موضوع مرض خيال الاطفال الناتج عن «تأثير الاعلانات، وحلقات الاذاعة المسموعة والمرئية ومغامرات السوبرمان والكومكس » (1) فان تعرض أطفال العالم الثالث لذلك أشد وأنكى نظرا للنقص الكبير فى التكوين الذهنى وحتى الجسمانى ، واذا كان « فرنسوا فيدال » الذى حضر ذلك المؤتمر » يؤمن بأن كتاب الاطفال يمكن ان يغير من ذوق العالم بل يغير العالم نفسه » (2) فان تلك قضية لا مجال للجدل فيها الا انها من ناحية ثانية تزيد من المسؤولية الكبرى الملقاة علينا نحن أجيال الامة العربية التى دخلت طور « الشيخوخة » حسب الاطار الذى وضعت فيه كلمة « الشيخوخة » • واذا كتب علينا ان نكون فى عصر الفضاء وتقلص المسافة فان تعرضنا لمرض خيال الطفل لا نستطيع تجنبه الا بتوفير الامصال الاصيلة الضامنة للحصانة والسلامة ، والعاملة على تركيز الذات وتقوية الاصالة فى أجيال نريد لها مستقبلا ايجابيا مواكبا • ولعل من أبرز معجزات القرآن البيانية والحكمية ، الآية التى تقول : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (3) وواضح أن هذا التغيير يتناول الايجاب والسلب والسيء والحسن على حد سواء •

ج — الطفل اللبنة الاساس :

بناء على ما تقدم يمكن القول بأننا اذا أردنا التغير المنشود فعلينا أن نبدأ من الاساس ، من الطفل ذاته ما دامت « الطفولة فى عالمنا الحديث أصبحت

---

(1) الادب وبناء الانسان للدكتور على الحديدى ص ١٠٠/١٠١

(2) المصدر نفسه

(3) الرعد (١١)

تعد مرحلة وجود مهمة فى ذاتها ولذاتها . ولم يعد الطفل مجرد مراهق صغير ، أو مجرد مراهق كائن فى طريقة الى المراهقة » (1) بل أصبح له من الطاقات والمعلومات ــ وهو فى بداية الطريق ، أكثر مما كان عند آبائه وأجداده ولو طالت بهم عقود السنين وبينما طفل العصور الخوالى قد يكون متأخرا عن آبائه فى تلقى المعرفة والاطلاع على ماجريات الاحداث فاننا لا نبالغ فى القول اذا قلنا : ان طفل اليوم ــ فى كثير من الاحيان ــ يتلاقى هو ووالده فى نفس لحظة التلقى . ولعل الكثير منا كان ساهرا مع أطفاله يترقبون خروج « آرمسترونغ » من مركبته الفضائية لوضع أول قدم بشرية على سطح القمر . كما أننا لا نبالغ فى القول أيضا اذا قلنا : ان الاطفال كانوا أقرب الى التفاعل المنسجم فى حقيقة ما شاهدوه من « الكبار » الذين كانوا يعيشون معهم تلك اللحظة التاريخية فى مجال التقدم الانسانى . ولا نقف طويلا عند اولائك « الكبار » الذين كانوا بين مصدق ومكذب فى « الشعوب المتخلفة » .

واذا كان الطفل ــ عندما يشاهد تلك الاكتشافات والاختراعات ــ لا يعتبرها من الخوارق لانها نشأت معه ، وكان موقفه منها لا يبعد عن موقفه من التلفزيون والصاروخ ــ اذا كان موقفه كذلك فان ما يتطلبه ــ مستقبلا ــ ينبغى ان يكو أكثر وأوسع ، وأعمق وأشمل .

هذا هو ــ اذن ــ وضع الطفل فى العصر الحديث . وتلك هى الزاوية التى ينبغى أن ننظر منها الى اهتماماته ومشاغله . ان « .. الطفل رادار عجيب . انه يستطيع أن يلتقط ويحس ويدرك أكثر مما نظن بكثير .. » (2) .

واذا نحن امة عربية تنشد الوحدة ، وتعمل فى سبيلها فاننى ارى ان حجر الاساس لذلك الصرح يجب ان يبدأ بالطفل . واذا كانت عوامل التاخير او التعويق لتحقيق بناء ذلك الصرح تتمثل فى التناقضات بين النظم ، او الاجيال او الاتجاهات ، فان التلافى السليم والصحيح لذلك انما يتمثل ــ خاصة واساسا ــ فى بناء جيل المستقبل بما نهىء فيه وله من استعداد ، وما نوفر له من وسائل . وتلك مسؤولية تقع علينا مباشرة ولا تقع على اطفالنا الذين قد يصبحون ضحايا لكل انحراف يقع منا . لان الطفل ــ تلك العجينة اللينة ــ عرضة لتلقى اى اعوجاج او استقامة ، والتمثل على اى شكل او

---

(1) الادب وبناء الانسان (57)

(2) سليمان العيسى ــ الموقف الادبى ــ (103) مارس 1974 .

هيئة • ولامر ما قال رسولنا العربي : « •• ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ، ويمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » (1) • وكان القصد من ذلك بيان مسؤولية الوالدين في التكوين ، ومدى تحمل مسؤوليتهما في مستقبل الطفل العجينة اللينة المهيأة لكل ممدوح أو مذموم من السلوك والخصال ، لان المرء يشيب على ما شب عليه – كما يقول القدامى – وان تعود الاشياء الذميمة يصعب ابتعاده عنها فيما بعد • ولو « أخذ في الادب بعد غلبة تلك الاشياء عسر انتقاله • ولم يستطع مفارقة ما اعتاده في الصبا » (2) •

د – المسؤولية أوسع :

لقد اصبح الاهتمام بأدب الطفولة محل العناية البالغة في العصر الحاضر سيما عند الامم المتقدمة كانما الطفل في العصور الخوالي كان شيئا لا يؤبه له او كأنه لا يعني « استمرارية الحياة » التي هي جبلية في الانسان • ولا يعني ذلك ان الطفل في تلك العصور كان مهملا ، لان الطفل – منذ البدء – كان محل العناية والرعاية والعطف ، الا أن النظرة التهذيبية أو التربوية كانت لا تتسم بالشمول وإنما تطغى عليها «الانفصالية» و «الفردية» المدفوعة بعوامل ذاتية شخصية • وكان الشعور بمسؤولية التكوين والتهذيب لا يتجاوز محيط الاسرة او المدرسة ، فتوجيه الوالد او المربي وعملهما في تكوين الطفل كان مقصورا مهما كان عدد الابناء او التلاميذ ، لان المعطى المبذول كان يتجه محددا الى من شملتهم الدار او ضمتهم المدرسة • لماذا كان ذلك ؟ لان الوالد او المربي كان محصور النظر ، مقصور الاهتمام على من كان تحت رعايته او في فصله ، وكانت طبيعة ذلك الوضع لا تفرض غير ذلك • ومن ثم انعدمت النظرة الى الطفل كعالم مستقل بذاته ينبغي ان ينظر اليه ككل وككيان جامع لمستقبل امة او شعب • ولكن الاهتمام الجديد بعالم الطفولة غير تلك النظرة وأصبح عالم الطفل اليوم غير ما كان عليه بالامس • ولهذا اعتنت الامم التي آمنت بتلك النظرة – اعتنت بعالم الطفل عناية خاصة وجعلته من اهم محاور اهتمامها • وساد الاعتقاد بأن على المجموعة البشرية « البالغة » أن تجعل « مجموعة المستقبل » تشعر بوجودها « القائم » وان تهيء لها الوسائل

---

(1) صحيح مسلم – كتاب القدر •
(2) ابن الجزار : سياسة الصبيان وتدريبهم ص 135 •

والاستعدادات التى تجعلها ترث سلفها وتأخذ منه المشعل لتخطو به خطوات اخرى نحو الافضل ٠ من هنا جاءت نظرة الشمول فى مخاطبة الاطفال ، فى توفير وسائل التثقيف الخاصة بهم ، فى ايجاد « مكتبة » تتلاءم واذهانهم وتواكب تطورهم ٠ ومن هنا ايضا ـ كان على الخلاقين المبدعين ان يكتبوا لذلك « العالم الصغير » ان يكتبوا له كعالم لا كأبناء او تلاميذ فى المدرسة ٠ ان يكتبوا الادب للصغير كما يكتبون للكبير وبذلك اتسع نطاق المسؤولية فلم يصبح تهذيب الطفل وتكوينه مقصورا على الوالد او المربى وانما اصبح يشمل الاديب والناشر والمؤسسة والحكومة كأى مرفق من مرافق الحياة العامة فى المجتمع ٠ ولهذا ـ ايضا ـ شاركت الاذاعة والتلفزة ، والسينما فى القيام بدورها نحو « العالم الصغير » ٠ واعتبر النهوض بهذا «العالم الصغير» مظهرا من مظاهر التطور والتقدم لا ينبغى ان يغفل عنه لانه جزء من التقدم الحضارى الذى لا يعرف التجزئة ٠ ومن هذه الناحية كانت مسؤولية الدول والشعوب السائرة فى طريق النمو ـ ونحن منهم ـ مسؤولية جسيمة وخطيرة واذا نحن تمسكنا بمبدأ النقد الذاتى أمكن لنا القول بأن موقفنا نحو « العالم الصغير » ما زال موقفا غائما بطىء الخطى رغم ما نبذله او ندعى بذله فى هذا القطاع ٠ اذ لا ينبغى فى عصر سريع نريد اللحاق بالمتقدمين فيه أن نوكل ذلك الى البادرات الفردية بينما نعنى بالتخطيط ورصد الاموال فى مجالات أخرى ٠ لقد اعجبتنى كلمة قالها منذ قرون محمد بن شرف القيروانى هى قوله : التعليم فلاحة الابدان ٠ ولم يكن « ادب الاطفال » سوى فرع هام وكبير من تلك ـ الفلاحة ـ وأذكر أننى كتبت مرة مقالا بعنوان « فلاحة بلا تخطيط » (1) جاء فيه « ٠٠ ولعله من مظاهر التناقضات ما نرى من اهتمام الامم المتخلفة بنشر التعليم ومحو الامية ، سالكة فى ذلك مناهج التخطيط وضبط المراحل ، لكننا نراها ـ بجانب ذلك ـ لا تعير اهمية مماثلة لخط يوازى نشر التعليم وتعميمه ٠ ولم يكن هذا الخط الموازى سوى توفير غذاء روحى ووجدانى لاولائك الاطفال على مختلف مراحل نموهم العقلى والوجدانى كأن « ادب الطفولة » أمر ثانوى أو ترف زائد بينما نرى الامم المتقدمة تحرص كل الحرص على توفير ذلك الادب وتحبيبه ، واكسابه كل المرغبات والمغريات لانها تدرك أهمية المرحلة التكوينية لا للانسان الطفل فقط بل للانسان الرجل ، والانسان المسؤول » ٠

---

(1) العمل الثقافى ص 3 (18 ـ 6 ـ 1971)

هـ ـ سيرورة أدب الطفل :

« .. تشكو المكتبة العربية من فراغ خطير فيما يخص كتب الاطفال ، اذ بينما توجد فى اللغة الروسية او الانكليزية والاسبانية سلاسل متعددة للاطفال ، يقابلها فى اللغة العربية كتب معدودة وسلاسل قليلة ، تهتم فى أكثرها بالقصص والحكايات ، وتمتلىء بالجنيات والساحرات » .

هذا ما جاء فى « العلم الثقافى » الصادر فى الرباط بتاريخ 3 / 1 / 1975 صدرت به هذه الفقرة حتى يكون من آخر الاراء التى صدرت عن أدب الاطفال فى المكتبة العربية ، وتدليلا على ان هذا النوع من الخلق الادبى والفكرى ما زال يحبو فى بلادنا العربية . ورغم حبوه ونشأته فان « معظم النتاج الذى بوجه اليهم (الاطفال) مضلل ، مسىء ، مزيف » (1) وليس هذا الحكم القاسى الذى ذكرته المجلة السورية « الموقف الادبى » بعيدا كثيرا عن الصواب ، او شديد المبالغة ولو يسمح هذا المقام بالدراسة النقدية المطولة لوقع التدليل على ذلك بالكثير من الامثلة والشواهد .

اما بخصوص سيرورة أدب الاطفال فان هذا الادب ـ حسب الذى حددناه من أنه الذى يكتب اصالة للاطفال ـ فان هذا الادب كان غير موجود لا فى اللغة العربية فقط بل فى اللغات الاخرى كذلك وقد اعتبرت سنة 1697 م سنة ميلاد أدب الاطفال . وهى السنة التى نشر فيها الكاتب الفرنسى شارل بيرو (1628 ـ 1702) اول مجموعة قصصية للاطفال بعنوان « حكايات أمى الاوزة » (2) . ثم أخذ أدب الاطفال فى الانتشار والتوسع شيئا فشيئا حتى اصبح من أغزر الانتاج فى العالم . وقد بلغ عدد الناشرين لكتب الاطفال فى أمريكا فقط 5895 ناشرا فى سنة 1965 (3) . وتنتج اليابان سنويا ما يناهز الخمسة آلاف عنوان . وان انتاج كتب الاطفال فى المانيا الفيدرالية يساوى مجموع انتاج الكتب المدرسية (4) وصدرت اول صحيفة للاطفال تحت عنوان « صديق الاطفال » فى فرنسا سنة 1747 (5) .

---

(1) الموقف الادبى ص 98 (مارس 1974) .
(2) معجم لاروس ـ و ـ الادب وبناء الانسان (42) .
(3) عبد القادر بن الشيخ : حركية الكتاب والمطالعة .
(4) الادب وبناء الانسان (53) .
(5) عبد القادر بن الشيخ : حركية الكتاب والمطالعة .

ولا يعنى كل ذلك خلو الآداب العالمية من تناول الادب للطفل حديثا عنه أو عطفا عليه فذلك موجود منذ ان بدأت الام الاولى تناغي ولدها٠ اذ٠٠ حيثما توجد أمومة وطفولة آدمية يوجد بالضرورة « أدب أطفال » بقصصه ، وحكاياته وترانيمه ، وأغنياته ، وأساطيره وفكاهاته ٠٠ (1)

واذا كان الادب « الانشائى » يستدعى التخيل فمن الضرورى ان الكثير من الامهات كن يتخيلن ويخترعن الكثير من الاقاصيص والحكايات والخرافات لاطفالهن ترغيبا او ترهيبا ، تأديبا او تهذيبا كما أن الاهازيج التى تهدهد بها الأم طفلها لا تخرج عن المعنى العام لادب الاطفال وقد حفظت من ذلك عدة نصوص فى اللغة العربية ٠ وتتوارث الامهات تلك الاهازيج او يخترعنها وقد عرفت تلك الأهازيج عند العرب باسم « الترقيص » (2) كما هو شائع الان عند الامهات فى سائر الاقطار العربية كل حسب لهجته لكنه غير مدون ولا منشور ٠

1 ـ الطفل فى التراث العربى :

حفلت كتب التراث العربى بالنصوص المتعلقة بالطفل نثرا وشعرا ٠ وكان أغلب تلك النصوص يصور عطف الاباء على الابناء فى السراء أو الضراء أو الدعوة الى تهذيبهم وتكوينهم سواء مباشرة معهم او عن طريق الغير فهم فلذات من الاكباد او الاكباد نفسها على حد قول حطان بن المعلى (3) :

وانما أولادنا بيننا	أكبادنا تمشى على الارض
لو هبت الريح على بعضهم	لامتنعت عينى عن الغمض

وعندما سئلت فاطمة الانمارية عن أحب أولادها اليها احتارت بين مريضهم حتى يشفى وصغيرهم حتى يكبر ، وغائبهم حتى يعود فقالت : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها (4) ٠

---

(1) المصدر نفسه ٠

(2) أنظر مجموعة اشعار الترقيص عند العرب جمعها سعيد الدبولاجى والحق بها اشعار فى الموصل ـ والغناء للاطفال عند العرب تأليف الدكتور أحمد عيسى ٠ وانظر ايضا مقالا عن اشعار الترقيص بقلم شوقى هيكل (مجلة الثقافة عدد 12 ـ 1974)

(3) العقد الفريد (2 : 263) وعيون الاخبار (3 : 95) ٠

(4) مجمع الامثال للميدانى ٠

وهم عند الاحنف بن قيس : « ٠٠ عماد ظهورنا ، وثمر قلوبنا ، وقرة أعيننا ، بهم نصول على اعدائنا ، وهم الخلف منا بعدنا ، فكن لهم أرضا ذليلة وسماء ظليلة ، ان سألوك فأعطهم ، وان استعتبوك فأعتبهم ، ولا تمنعهم رفدا فيملوا قربك ويستثقلوا حياتك ، ويتمنوا وفاتك » (1) ٠

وكتب التراث فيها الكثير من الوصايا والمواعظ (2) والمراثى الخاصة بالاطفال (3) كما ألفت بعض الكتب أو الرسائل جامعة لاخبارهم وما قيل عنهم مثل كتاب « أنباء نجباء الابناء » لابن ظفر الصقلى المتوفى سنة 565 هـ ، وكتاب « الدرارى فى ذكر الذرارى » لابن العديم المتوفى سنة 660 هـ٠ وقال فى مقدمته « ٠٠ كتاب نفيس رائق المعنى أنيس ، أجمع فيه نبذا من ذكر الابناء وأخبار الحمقى والنجباء وما ورد فى مدحهم وذمهم ٠٠ » (4) ٠ اما رسالة الغزالى المعروفة بعنوان « أيها الولد » فانها بعيدة الصلة بذلك اذ هى موجهة الى شيخ عالم قضى حياته فى طلب العلم ٠ ثم طلب من أبى حامد الغزالى ان يكتب له ورقات تكون معه مدة حياته (5) ويشبه هذا ما كتبه أحمد أمين بعنوان « الى ولدى » ٠ وولده كان اذ ذاك طالبا يتم تعليمه فى انكلترا وجه فيها نصائحه وتجارب حياته الى ولده الشاب (6) مما هو بعيد عن أدب الطفولة او حتى توجيه النصائح اليهم ٠

وفى التراث ايضا كثير من النصوص الادبية التى تتصل بالطفولة وان لم تكن مقصودة للاطفال مثل كتاب كليلة ودمنة وكتاب ألف ليلة وليلة ٠ وقد استغلا على مر العصور لاسماعها للاطفال او استمداد أشياء منهما ،

---

(1) زهر الآداب (643 ـ 644) ٠

(2) انظر نماذج من ذلك فى العقد الفريد (3 : 98 ـ 105) وعيون الاخبار (3 : 84 ٠٠٠) ومحاضرات الادباء (1 : 320 ٠٠٠) والمفضليات (145 ـ 384 ـ 409) ٠

(3) تعتبر مرثية ابن الرومى فى ولده الاصغر من أشهر المراثى وأصدقها تعبيرا ٠ الديوان (1 : 29)

(4) ص 22 مطبعة الجوائب 1298 هـ٠

(5) ص 7 ـ بيروت 1951 ٠

(6) الى ولدى لاحمد أمين ص (ج) القاهرة 1951 ٠

خاصة « ألف ليلة وليلة » اذ كانت مصدرا ثريا للكثير من الحكايات والخرافات التى تقصها الام او الجدة على الابناء وأبناء الجيران • وكان لذينك الكتابين أثر مباشر فى ظهور أدب الطفل فى غير اللغة العربية • واستغلت الليالى فى القصص استغلالا كبيرا ، وأمدت الادباء بعالم وافر من الشخصيات والحوادث والمناظر •• وقد استعان أكثر كتاب قصص الاطفال فى أوروبا باستيحاء قصص ألف ليلة وليلة » (1) واذا كان الشاعر الفرنسى « لافونتين » يعتبر مثالا لكتاب العالم فى الكتابة للاطفال على السنة الحيوانات ، فان هذا الشاعر تأثر – فيما تأثر – بالترجمة الفرنسية لكتاب كليلة ودمنة التى ظهرت فى نهاية القرن السادس عشر • م • (2) •

ز – أدب الاطفال العربى :

مما تقدم عرفنا أن « أدب الطفولة » كفن مستقل بذاته لم يظهر فى العالم الا فى القرن السابع عشر • فهو اذن أدب مستحدث فى أوروبا وهى مشرفة على عصر التطور والتقدم • ومثل الكثير من الفنون الادبية فان فـن « أدب الطفولة » ظهر فى اللغة العربية نتيجة الاحتكاك والمحاذاة لما ظهر فى الغرب شأنه شأن القصة والمسرحية وغيرهما • ولهذا كانت أول بادرة لادب الطفولة قد ظهرت عن طريق الترجمة فى عهد محمد علـى • وان رفاعـة الطهطـاوى المسؤول عن حظوظ التعليم بمصر – اذذاك – هو الذى امر بنقل أدب الاطفال الى اللغة العربية (3) • ولكن رغم مرور أكثر من قرن ونصف على تلك المحاولة الاولى فان أدب الطفولة فى اللغة العربية ما يزال يشكو النقص الكبير رغـم الجهود التى قام بها بعض الرواد فى مصر أمثال شوقى والهـراوى وكامـل كيلانى وسعيد العريان ، وما تبع ذلك فى مختلف الاقطار العربية خاصة فى السنوات الاخيرة حيث ظهر العديد من العناوين والمجلات وكتب المعرفة الخاصة بالاطفال ، الا انه رغم ضآلة ذلك الانتاج ، فانه يعسر حصره واحصاؤه لان الاحصائيات الموضوعية لم تتوفر بعد أو هى اذا توفرت اتصفت بالنقصان أو اقتصرت على المجمل (4) • وهذا لا يخص انتاج أدب الاطفال فقط بل يشمل

---

(1) الادب وبناء الانسان (135) •

(2) المصدر نفسه (165) •

(3) المصدر نفسه (241) •

(4) عبد القادر بن الشيخ « حركية الكتاب والمطالعة » •

الكتاب العربى بصفة عامة . وهو - لا شك - مظهر من مظاهر التخلف تجب ازالته - .

والسؤال الوارد هو لماذا هذا النقص الكبير فى أدب الاطفال عندنا ؟ هل ما زال « .. التأليف يعد تضحية كبيرة لانه فى الاغلب لا يصل بالمؤلفين الى ما يسمونه بالمجد الادبى » كما عبر عن ذلك الدكتور زكى مبارك منذ أكثر من أربعين سنة وأنه لا يهتم بالتأليف للصغار سوى الذين لا يجدون ما يلقونه على الكبار (1) ولهذا قل فى الادب العربى الحديث من اتجه من رجالاته وأعلامه الى هذا النوع من الانتاج الذى لم « .. يعد أدبا لا قيمة له ، أولا خطر منه ، أو يمارس الكتابة فيه من قصرت موهبته عن معالجة الادب التقليدى للكبار بل أصبح من فروع الآداب الجادة المؤثرة فى حياة الانسان والبشرية .. » (2) .

ولعل ضحالة أكثر الانتاج الموجود الآن تعود الى بقايا تلك العقدة . وان راكبى الخيول الخشبية لم يترجلوا بعد ليداعبوا طفلا بأنشودة ، أو يضعوا على ثغره أغنية ، كما حلا لسليمان العيسى التعبير عن ذلك (3) .

ولعل الاهتمامات الاخيرة التى ظهرت فى البلاد العربية سوف تعمل على ازالة تلك العقدة ويتنزل الادباء « الكبار » الى عالم فسيح رحب يبنون فيه الاجيال ويكونون الانسان ويبتعدون عن ميدان ادب الطفل دخلاء يضرون أكثر مما ينفعون . وفى تخصيص المؤتمر العاشر للادباء العرب موضوعا من موضوعاته لبحث ادب الطفولة دليل على مدى الاهتمام الذى يشغل بال رجال الادب العربى بهذا القطاع الهام خاصة ان هذا المؤتمر ينعقد بعد اسابيع قليلة من عقد الندوة الثانية للكتاب العربى التى انعقدت بتونس من 31 مارس الى 2 أفريل 1975 . وناقشت كثيرا ادب الطفولة واوصت بضرورة الاهتمام به والعمل على « العناية بكتب الاطفال بأنواعها المختلفة وفى اشكال تتماشى والسن ومراحل النمو النفسى » (4) وكم أود لو ان المؤتمر القادم للادباء

---

(1) الادب وبناء الانسان عن جريدة البلاغ المصرية الصادرة بتاريخ 8 - 9 - 1931 .

(2) المصدر نفسه (249) .

(3) الموقف الادبى (101) .

(4) عن التقرير النهائى لاعمال الندوة الثانية للكتاب العربى .

العرب يكون خاصا بموضوع ادب الطفولة الذى يحتاج الى الكثير من الدراسة والبحث ، والذى لا يبعد عن اى موضوع يمكن ان يناقش او يثار فى هذه المؤتمرات ٠

ح ـ ما أدب الاطفال ؟ :

اذا اقررنا بان عالم الطفولة اصبح متميزا له خصائصه واهتماماته ، فان هذا « العالم الصغير » واسع فسيح ، فبالاضافة الى ما يتطلبه من استجابة لميوله فى التخيل ، والاكتشاف ، والتوق الى معرفة ما حوله فانه ينبغى ان يتهيأ للمستقبل الذى ينتظره ٠ واذا اختلفت الآراء والمذاهب حول ما يقدم الى الطفل من غذاء ذهنى وثقافى فان المتفق عليه هو ان يكون ذلك الغذاء ملائما لمراحل نموه مدارك وسنا ٠ والتغذية النافعة هى التى تجمع بين سلامتها الصحية ، وملاءمتها للتركيب الجسمانى ، والتطور العضوى للبدن حتى يضمن البدن النمو السليم من ناحية والحصانة ضد الامراض من ناحية أخرى ٠

ويتجاوز ادب الطفل النطاق الضيق المحصور فى ذاته او بيئته الى محيطه العام الذى سيلعب فيه دورا كبيرا قد يصل تاثيره الى الانسانية عامة ٠ ولهذا يصبح ادب الطفولة لا يعنى مجرد القصة او القصيدة وانما يشمل جملة المعارف الانسانية تقدم اليه فى الاسلوب الملائم والطريقة المثلى ٠ ومن اجل ذلك اصبحنا نرى دور النشر لا تكتفى بنشر القصص والشعر بل تنشر مختلف انواع المعرفة التى وصلتها الانسانية فيما يتصل بالتقدم العلمى والتقنى والاكتشاف والاختراع حتى لا يكون الطفل مفصولا عن واقع الحياة ، او مبهورا امام اشياء يراها ويسمعها دون ان يتجاوب معها ، او دون ان يكون له بها المام بسيط فى مستوى ادراكه ٠ ومن اجل هذا أيضا زالت فكرة « المثالية المطلقة » التى يدعو اليها البعض فيما يقدم للاطفال ٠ « وبعد الاحتجاج من علماء النفس اعيدت كتابة حكايات الجنيات والخرافات المفزعة لتخفيف ما تحويه من تفصيلات البشاعة والخوف فى أصولها المتوارثة (1) وكتب الاطفال لا بد ان تحتوى على « مضامين مناسبة » كبعض المواقف او الاحداث الدرامية ، أو الموضوعات التى تتفق مع المستوى الادراكى للاطفال الذين كتبت لهم القصة » (2) ٠

---

(1) الادب وبناء الانسان (75) ٠

(2) المصدر نفسه (47) ٠

القضية – اذن – فى كيفية التناول واسلوب العرض ما دام القصد ليس غرس الشر او تنمية غرائز السوء · وما دام الكاتب ليس مدفوعا بخلفية مضادة للامال الانسانية والتعايش السلمي بين الافراد والاجناس مثل ما تفعله الصهيونية المناوئة فى بذر الحقد والكراهية للعربى فيما تقدمه لاطفالها عندما تصور العربى بابشع الصور من أن « الغازى العربى كان قاسيا كأفعى سيناء ، وكان جريئا كنمر هندى ، وكان محتالا كثعلب سوري ، وكان مجرما من بطن أمه » (1) ·

ان الطفل العربى ، طفل المستقبل ، يجب ان نقدم له ما يبعد به عن مظاهر التخلف فى مختلف مجالات الحياة · وان نبعده عن رواسب الانحطاط ومخلفات التأخر التى ما زالت الاجيال العربية تتخبط فيها · ان العصر الذى نعيش فيه هو عصر التحديات لا السياسية فقط بل حتى الحضارية بمعناها الواسع العريض ، انه محتاج الى ثقافة زمنية تعلمه الضبط وتقدير حساب الثوانى دون ان يكتفى بترديد شعار : « الزمن كالسيف ان لم تقتله قتلك » ·· انه محتاج الى ثقافة تقنية تخفف عنه تخمة النظريات وكثرة الجدل ولغو الشعارات ·· انه محتاج الى ما يبعده عن التواكل الى ما يدعوه الى حب العمل والنضال المتواصل · انه محتاج الى ما يؤصل فيه الايمان برسالته فى الحياة ، ذلك ما ينبغى ان نجعله هدفنا فى ادب الطفل العربى وفى ثقافته التى نقدمها اليه ·

ى – لغة هذا الادب :

ولكن باى اسلوب لغوى نقدم هذا الادب الى الطفل ؟ لعل الكلمة المأثورة التى تقول « ·· خاطبوا الناس بما يفهمون » أصح جواب عن هذا السؤال ومن هنا صح ان نقول « لغة الطفل » لما لاسلوب مخاطبته من مميزات يجب ان تكون متلائمة مع « عالمه المستقل » ودرجة ادراكه ، ومحيط تخيله ، ودائرة معرفته · ومن هنا كانت الكتابة للطفل اصعب أنواع الكتابة لما تقتضيه من معرفة دقيقة لكل معطيات التبليغ الناجح حتى يحصل التجاوب والنجاح وتتم الفائدة ، ويتحقق الهدف من كتابتنا للاطفال · ولعل هذا من اهم الاسباب التى جعلت بعض « الكبار » يتهيبون الكتابة للاطفال اما لشعورهم بوطأة القيد او لفقدان ما يتطلبه التوفيق ·

---

(1) العلم الثقافى (10 – 1 – 1975) عن «صوت فلسطين» بقلم أحمد دحبور

ولعل الكاتب للطفل العربى أكثر توقفا من غيره امام لغة ادب الاطفال بسبب الانشطار الذى يعانيه المجتمع العربى فى مختلف اقطاره بين العامية والفصحى • وان لكل قطر من تلك الاقطار عامية تقرب أو تبعد عن الفصحى وقد تقرب او تبعد عن العاميات الاخرى ، وعبارة « الطفل العربى » لا تكون صادقة المدلول الا اذا تجاوزت تلك الحدود ، وتلك اللهجات والا فنكون مضطرين الى نعت الطفل باسم القطر الموجود فيه • وهو ما يتنافى مع الهدف الاسمى الذى يعنيه اختيار الموضوع لهذا المؤتمر ، ومع الغاية السامية التى يسعى جميعنا اليها •

إننى سوف لأناقش دعاة الكتابة باللهجات لان تلك الدعوة تخطاها الزمن واصبحت غير ذات موضوع • وذهب نعيق اصحابها بلا صدى ، ولكننى اثرت هذه النقطة للبحث عن اللغة الطفلية المشتركة التى ينبغى لنا توخيها فى كتابة ادب الطفل العربى على أوسع امتداد للاقطار العربية • واذا كانت هذه اللغة المدعو اليها توجب اختيار الالفاظ الاقرب الى الطفل من ناحية والالصق بالفصحى من ناحية ثانية فان لهجاتنا اليومية قد تتباعد فى كثير من الكلمات المستعملة مما يوجب « الموضوعية » فى اختيار الكلمات المناسبة والاكثر انتشارا ، والاقرب الى الفصحى • فماذا سيختار الكاتب من هذه الكلمات (برشا ـ برشه ـ هلبه ـ كتير ـ هوايه) او من هذه الكلمات (كسوة طقم ـ بدله ـ قاط) أو من هذه الكلمات (زاده ـ كمان ـ هم) أو من هذه الكلمات (وقيده ـ كبريته ـ شخاط) الخ (1) •

اننى أكاد اعطى الاهمية الاولى للغة التى يجب ان نكتب بها للطفل العربى فى مختلف البلاد العربية باعتبارها حجر الاساس للوحدة العربية المنشودة ويكفى ما يعانيه « الكبار » من اختلاف المصطلحات وتباينها ، والبطء المزرى فى أهل الاختصاص منا فى مواكبة العصر والتقدم العلمى والتقنى وقديما قال ابن خلدون : انه مما اضر بالناس فى تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصلاحات فى التعليم (2) •

---

(1) فى مجلة « اللغات » التى صدرت بتونس (1961 ـ 1963) كثير من جداول المقارنة بين مختلف اللهجات العربية •

(2) المقدمة (1230) طبع القاهرة 1382 هـ ـ 1962 م •

واذا « عنيت بعض البلاد بدراسة « قاموس الاطفال اللغوى » وحصر الكلمات التى تتناسب مع كل سن من سنوات نموهم المختلفة • واستعمل الكتاب والمؤلفون للاطفال هذه الكلمات فى كتاباتهم وتآليفهم للصغار تسهيلا للفهم والقراءة » (1) فما أحوج الامة العربية الى ذلك فى هذا العصر بالذات وقد نادى بهذا بعض الذين تعرضوا الى هذه المشكلة باعتبار ان ذلك هو الوسيلة الوحيدة للتغلب على الثغرة التى تفصل بين العامية التى يسمعها الطفل فى بيئته والفصحى التى يجب أن يقرأ بها • وتتمثل تلك الوسيلة فى استخدام ما يعرف بالقاموس المشترك اى الكلمات او التعبيرات الفصحى ولكنها مألوفة التداول على السنة الناس (2) •

وفى اقطار المغرب العربى بدأ الشعور بتلك الحاجة يزداد الحاحا يوما بعد يوم مما حدا بها الى القيام بخطوة أولى فى ذلك وأن تعمل على « ضبط سياسة لغوية أصيلة ناجعة تساعدها على تحقيق أهدافها من التطور الشامل : الثقافى والاجتماعى والاقتصادى »(3) وأصدرت فى سبيل ذلك « الرصيد اللغوى الوظيفى » للمرحلة الاولى من التعليم الابتدائى (4) على امل مواصلة العمل لبقية مراحل التعليم • وعلى امل اذا عم استعماله ان تتحد مفاهيم الكلمات والمصطلحات لدى كافة اطفال تلك الاقطار حتى تتوحد اذهانها شيئا فشيئا •

وان هذا العمل ـ رغم قابليته للتعديل والمراجعة ، وعدم شموله لما دعوت اليه ـ يمكن ان يعتبر بادرة مشكورة • ويمكن ان يتسع نطاقه حتى يوجد « قاموس الطفل العربى » فى شكله الجامع ومدلوله الحى ، ومضمونه الشامل • وبذلك نملك الاداة الصالحة لمخاطبة الطفل العربى حيثما كان اما المضمون والمحتوى وكيفية العرض ، وأسلوب التبليغ فما أحسب انه أكثر صعوبة وأشد استعصاء عن الحل • وقد يكون من الطبيعى ان تختلف الطريقة فى التعبير ، والاسلوب فى التناول ، والنظرة من الزاوية فى مخاطبة الطفل العربى • ولكن

---

(1) الادب وبناء الانسان (74) ينقل عن القصة فى التربية •

(2) يوسف الشارونى فى مجلة « الثقافة » المصرية (2 ـ 74) عن أحمد نجيب •

(3) الرصيد اللغوى ص.(أ)

(4) بتاريخ صفر وفبراير 1395 هـ ـ 1975 م •

من غير الطبيعى ان يقع الاختلاف فى أداة تعبيره وصمام لسانه ، اى لغته العربية ، وهى الرباط الجامع للامة حتى يتحقق ربيعها الخصاب ٠٠ ربيعها الذى ناغاه سليمان العيسى فى احدى أناشيده للاطفال :

النور للجميع والحب للجميع
من زهرة واحدة لا يصنع الربيع
تساندى تساندى
يا وحدة السواعد
غلالنا الخضرا
والخير والعطا
لا بد أن يكون للجميع (١) ٠

محمد العروسى المطوى

---

(١) الموقف الادبى (١١٣) مارس ١٩٧٤ ٠

أنا وشعري !

شعر : الشاذلى عطاء الله

لم يصغ لى حينما يشتد بى ألمى   سوى دواتى وأقلامى وقرطاسى.
وجدتها عندما أنفض الندى ولم   أجد صفيا يصافينى من الناس
سجلت وحيا بها استنزلته وعلى   جناحها رف اذ رجعت أنفاسى
فكان شعرا على أنغامه رقصت   روحى كأنى أعب الخمر من كاس
وكان خلا أناجيه وأودعه   سرى وجهرى وما ألقى من الياس
سكبت فى سمعه ألحان قافيتى   فلاءمت بين أوتارى وأجراسى
أصاخ للوحى يستقصى دقائقه   وأرهف السمع فى وعى وإيناس
حتى تقارب من روحى فخالطها   وبدد الظلمة الدهما بنبراس
ناجيته فدنا منى وبادلنى   ودا بود وإحساسا باحساس
لم أخف عنأذنه سرى ولا احتفظت   نفسى بما فيه إسعادى وإبلاسى
عليه ألقى بثقلى حين يرهقنى   حمل الهموم ويقسو جوها القاسى
وعنده أجد الترفيه ينقذنى   مما أعانيه من غم ووسواس
يا راحة الروح فى ليل الشقاء اذا   عات موثقة ما بين حراس
فكان ليلا بلا فجر تمر به السا   عات موثقة ما بين حراس
··لأنت حبل نجاة النفس من غرق   حتى تلوذ بأمن المركب الراسى
اليك أفضيت يا شعرى بكل هوى   روحى،وما حاك فىصدرى،ولم آس
أحسستها خفقات فاستمعت لها   أغرودة صغتها لى لا إلى الناس
واخترت من روضك المعطار ما ابتسمت   عنه البراعم من ورد ومن ءاس
فكان متعة روحى فى كتابتها   وراحتى بين اوراقى وأطراسى
وفى فمى صرخة مكبوتة نقشت   برغم أنفى على لوحى وقرطاسى
·· شعرا تجاوب فى مضمونه وعلى   منواله وفق ما يرضاه احساسى

حملتـه كـل افكـارى فسـار الى ... جنبى يسجل خطـواتى وأنفـاسى
فليـس بـدعـا اذا خاللتـه وأنـا ... فى عـزلتى وغـريب بين جلاسى
ما لى صديق سواه!وهو اخلص من ... عـرفتهـم من سـلالات واجنـاس
من مثله ؟ وهو لى كالظـل يتبعنى ... حتى اذا نمت لم يبخل بايـنـاسى
وكم أفقت وما غير النجوم تـرى ... تحركى والدجى فى ثوبه الكاسى !
فكان حولى يغنينـى بأعـذب مـا ... غنت به قينة فى حفـل إعـراس
نعم الـرفيق لمثـلى إذ أعيش على ... جفاف ود أعـانى وطـأة اليـاس
لا أتقيه ولا أخشـاه وهـو يـرى ... دخيلتى وهو لى من خير حـراسى
وصدره لى كتـاب فى صحـائفه ... خواطرى قبـل ان تتـلى بكـراس
تحية لك يا شعرى ! ودمت غـذا ... روحى لآخـر ساعاتى وأنفاسى !

ش٠ ع٠
القيران 75/5/12

كتب وصلت الى مجلة « الفكر »

فيما يلى قائمة الكتب التى وافانا بها أصحابها مشكورين ، وأسرة (الفكر) إذ تقدر جهود مؤلفيها تتمنى لهم اطـراد الانتـاج ومزيـد العطـاء ٠

- **وضاح اليمن** : الشاعر وقصته للدكتور رضا الحبيب السويسى
- **ديوان المعتمد بن عماد** : جمع وتحقيق الدكتـور رضـا الحبيب السويسى
- **حزن حتى الموت** : 15 قصة قصيرة لفاضل السباعى
- **جدلية الوطن** : مجموعة شعرية للاديب الفلسطينى على الخليلى
- **أفواف الزهر** : (مجموعة شعرية) ، و **مجنون ليلى** : (مسرحية شعرية فى 5 فصول) للشاعرة العراقية الدكتورة عاتكة الخزرجى
- **النبى العربى الكريم** : قصيدة مطولـة نشرهـا فى الارجنتيـن الشاعر الياس قنصل
- **حركة الاسلام فى افريقيا** ، **وأعلام فى الاسلام** ، **والشعر الحديث فى السودان** : وهى ثلاثة كتب للاديب المصرى الدكتور عبده بدوى

مجتمع الفكر ...

اذ الفكر ريادة

بقلم : الهادى حمودة الغزى

كانت سنة 1955 بالنسبة للشعب التونسى سنة فاصلة بين عصرين ، عصر العبودية الذى استغلت فيه فرنسا تونسنا الحبيبة ، ارضا ، وبشرا ، وسماء ، وكل شىء . وكان الاستغلال كابوسا مهلكا ، تحت عنوان حماية التونسيين وصيانتهم من أى شىء ؟ من أن تستعيد تونس سيرتها الاولى « الاغلبية » أو الفاطمية الصنهاجية أو الحفصية .

وعصر التنور الذى وقفت فيه تونس على أعتاب منطلق بلا حماية فرنسية صليبية ، ولا دعوى من دعاوى الصيانة الغربية المحجلة .

الأول عصر الدماء والدموع بالنسبة لنا ولكنه كان حقا المحك للشخصية التونسية وللفكر التونسى الذى أثمر فيه ، عبر التحديات الفرنسية المحرقة منذ فجر هذا القرن ـ رؤوسا هزت المجتمع التونسى هزا وعصفت بالحماية الفرنسية عصفا ، وبلورت طموح الشعب التونسى فى التوق لحياة الاستقلال والحرية ، وغربلة المجتمع التونسى للتطعيم بايجابياته الموروثة والتخلص من سلبياته ، وما كانت تشده شدا الى متاهات الماضى المتعفن .

أما الثانى فعصر مجهول الهوية الى حد لان الكشف عنه فى ذلك الوقت متوقف على مدى قابلية التونسى للتطور ، ومدى تصور القيادة لما عسى أن يكون عليه هذا التطور ، وكيف يكون ؟ وما مقوماته التى يجب أن تكون ؟

بين هذين العصرين تخمرت فكرة ولم تلبث أن برزت فى أكتوبر من سنة 1955 فكانت « مجلة الفكر »

ومن العنوان نتبين أى عماد اعتمدته أسرة هذه المجلة ،وأين منطلق تنطلق فيه وهى ، ان لم تكن خاتمة لتاريخ ، فانها فاتحة له ، عصرا جديدا متجددا .

ولمجلة الفكر فى مثل ذلك الظرف دور وأى دور بالنسبة لاسرتها وللمجتمع التونسى الفتى ، لان السيادة التونسية تجتاز ، اذ ذاك ، مرحلة مخاضية حساسة .

دول شقيقة كثيرة مكنت من استقلالها قبل تونس ، وكان لها حدها الزمنى الفاصل بين عصريها ولكنها لم تتحسس وجودها الماهى وهى تدخل عصرها الثانى فجرت بذلك أمراضها الموروثة معها وتحفزت قياداتها بعد فوات الاوان ، الى عملية التخلص أو التطهير ولكنها فشلت وأصبحت فى مواجهة شعوبها بمثابة رجل ازاء ذباب حائم فى سماء كوخه الرطب المشمس كلما رمى من خلاله حبة فول الى أعلى أسرع الذباب يلاحقها ويجتمع عليها حتى اذا تراجعت للسقوط أرضا تخلى عن ملاحقته لها وعاد الى ما كان فيه من دوران . فما كان من صاحب الكوخ بعد أن عجز عن تطهير كوخه الا أن ترك ذبابه وشأنه ليتلهى به أو يشغله كلما عجز أن يصنع شيئا .

وتونس التى فقدت المثال ــ اذ ذاك ــ كان من المحتمل أن تقع فيما وقعت فيه تلك الشقيقات ... فلا تستطيع أن تعمل على التخلص من أمراضها وأن تحقق ما نادى به زعماؤها المصلحون منذ فاتحة هذا القرن وطوال عصر الحماية . واذن لوجدت نفسها مستقلة شكلا ، مستعبدة مضمونا ولظهر الفكر التونسى الحديث فكرا غوغائيا مشلولا ، عاجزا عن النقد الذاتى والنظر العلمى التأملى ، ويتبع ذلك بالضرورة تجاهل الامراض الموروثة أو اغفالها من جانب القيادة ورجال الفكر سواء ، بعد أن استوى الماء والخشب . وفى مثل هذه الحال يكمن دور القيادة السياسية فى الالتواء والتلون الحربائى حفاظا على السلطة أو قل ماكينة الدولة ، وذوى الفكر القيادى عدولا لدى الدولة يبرمون لها عقود الزيف والتضليل ويكونون لحمة النتن بين الجماهير .

لم يحصل لتونس مثل هذا اذن ولكنه حصل لغيرها ، وما حدث لتونس غير هذا .

حدث لتونس ــ ومجلة الفكر بدأت اول اشعاعة لها ــ أن ظهرت لها عبر مخاضها التحررى العسير ــ قيادة تحريه ذات طابع سياسى من جهة وطابع فكرى من جهة أخرى ولنفترض أن ذلك كان اتعاظا بما كان يحصل أوقل ثمرة لنضج . المهم أن القيادة التونسية انشاء ، لهم تفصل السياسة عن الفكر واعتبرتهما توأمين أو مظهرين لماهية واحدة هى القيادة الواعية . ومن

هنا جاء تكفل القيادة التونسية منذ فجر الاستقلال بمبادرة التنفيذ لكل الخطوات الاصلاحية التى نادى بها زعماؤنا من قبل ، وكان التنفيذ سريعا ولم نبالغ اذا قلنا مذهلا • ومرد ذلك الى قوة الحكم الذى هو الحزب مما سهل الطريق للتطبيق العاجل ، وقطع السنة المرتدين والمرتابين ، وافساح المجال للرؤية الواضحة لدى كل ذى فكر ورأى حتى اذا طلعت « مجلة الفكر » كان المناخ صالحا للبذر والنماء • وبذلك أخذ القلم مكانه عبر أعداد هذه المجلة الجامعة فى الادب والفكر ، وفى السياسة والاجتماع • واذا بالمجلة تعكس بوضوح ماهية القيادة السياسية فى البلاد نشدانا للاصالة فى كل شيء ، وعدم الفصل فى مستقبل تونس بين التفكير السياسى والتفكير العلمى مما جعل المسيرة واحدة فى المستويين السياسى والفكرى وضربة القلم الفكرية تتلقى صداها ضربة القلم السياسية واذا بمجلة الفكر منبر رائع لكل هذه التفاعلات ولست بصدد التمهيد للحديث عن هذه التفاعلات الفكرية ولا عن هذه المضامين التى عاشت بها الفكر زاخرة عشرين عاما متواليات ولكنى مكتف بالحديث عن هذه الافتتاحيات العشرينية التى صاغتها مجلة الفكر مفاتيح ومداخيل لكل من يريد أن يعرف الحياة التونسية فى عصرها الجديد الحر ، وأن يكشف عن بعض ملامح هذه الايديولوجية التونسية ، وهذه الفلسفة الحضارية المعاصرة •

وحين نقول افتتاحيات « الفكر » نقول رسالة النخبة الواعية المسؤولة ، وفلسفتها المثالية لما عسى أن تكون عليه تونس الغد قيادة وريادة لا فى المغرب العربى وحده ، بل ولبلاد المشرق أيضا وافريقيا • ولندع الفكر تتحدث عن نفسها لقرائها فى أول عدد لها بعنوان « الى القراء » ! (1)

« ان المجتمع التونسى اليوم يجتاز مرحلة دقيقة فى حياته هو فى أشد الحاجة فيها الى أن يعرف نفسه ويعى منزلته ويوضح أهدافه ، ويضبط سبلها • فسنة الحياة تقتضيه أن يخرج من السلبية الى الايجابية ، وأن يصهر ما فى نفسه من امكانيات ، وأن يتميز ككائن حيى سوى ، وأن ينفرد كشخصية مستقلة • ولعل حياتنا الفكرية هى أدعى الى أن ينظر فيها ، ويعتنى بها • ذلك أن المتأمل فى روحانيات مجتمعنا ، وفى شؤونه المذهبية والعقائدية يلاحظ فراغا مريعا ؛ فنحن تواقون الى مثل عليا نريدها هادية لنا مرشدة ايانا عندما تلتبس بنا المواقف وتغمض السبل • ونحن شاعرون

(1) الفكر ، العدد الاول اكتوبر 1955

بقوة التيارات الفكرية الاجنبية التى تحاول جرفنا الى ما لا ارتياح معه ولا وثوق به • فنحن أحوج ما نكون اذن الى مذهب أصيل منتزع مـن واقعنـا ، ومستلهم من ماضينا وحاضرنا يلقى أضواء ساطعة على مختلـف جـوانـب حياتنا ، ويكسب أعمالنا معنى ساميا • واعتقادنا ان الاخلاص للفكـر فـى أشمل قيمه وأسمى معانيه خير ضمان لبلوغ الهدف •

بالفكر نوفق الى وضع المشاكل الوضع الصحيح والى علاجها العلاج الناجع وبالفكر نتمكن من السير على هدى نحو مذهب تونسى صميم أصيل يزيل حيرتنـا ويسمو بنـا •

فاذا أمكن لهذه المجلة أن تكون ملتقى المثقفين فى هذه البلاد حتى يعالجوا مشاكلهم على ضوء الفكر فانها تكون قد قامت بنصيب متواضـع من عمـل انشـائى أكـيـد • »

ونستنتج من هذه الافتتاحية الاولى أو قل دستور المجلة ما يلى :

1 ان مجلة الفكر أسست لتكون فى خدمة الامة التونسية فى شتى مظاهرها

2 أن المجلة تسعى منذ عددها الاول جاهدة لتحقيق الاصالة للشعب التونسى فى كل جانب من جوانب حياته باعتبار أن الاصالة مفاعـل جبـار به تكـون الامـة أو لا تـكـون •

وبناء على ذلك فيجب :

أولا : أن يعرف المجتمع التونسى نفسه وأن تتوضح أهدافه وهو فى مرحلة انتقـاليـة خطـرة •

ثانيا : أن يقوم بعملية الفرز أو التخلص مما تراكم فيه عبر عصـوره مـن سلبيات ، وأن يدخل مرحلة التكون الحضارى على نحو من الايجابية لتحقيق دولة الحضارة الحديثة •

ثالثا : وجوب النظر فى حياتنا الفكرية وتحسس هويتها حتى تكون عمليـة التخلص واقعية وسليمة

رابعا : ان نعمل على محو هذا الفراغ المذهبى والعقيدى وفى الوقـت ذاتـه على ايجاد مثل لنا ومقومات أصيلة قادرة على الوقوف فى وجه التيارات الفكرية الاجنبية ، وكثير منها يريد جرفنا الى « ما لا نرتاح اليه ولا نثق به » •

خامسا : ان مجلة الفكر أنشئت أساسا لتكون ملتقى المثقفين التونسيين تحت شعار واحد لا غير هو الفكر بعيدا عن العاطفيات والفوغائيات ٠

فهل التزمت « الفكر » بهذه المبادىء وهل أحسنت السير على هديها ؟

للناظر في أعدادها بعد أن بلغت من السن العشرين ، يلاحظ أنها كلما ترامت بها الايام وانتقلت تونس من واجهة الى أخرى من واجهات البنـاء ، رأيـت « الفكر » فى أصدق جهادها وأخلصه محافظة على مبادئها دوما ، ذائدة على حرمتها مخلصة لامتها ، تحتل مركز القيادة الفكرية حينا ، مواكبة حينا آخر تنور وتستنير ، وتهدى وتستهدى ٠ وقد صاغت كثيرا من مثلنا وسـدت كثيرا من الفراغ الذى كنا نعانيه على المستويات المختلفة فى الفكر والسياسة والاجتماع والتربية ٠ وترامى اشعاعها الحضارى الى بلدان المغرب العـربى والمشرق فكانت خير معرف بحاضر تونس الحضارى فكرا وفنا وسياسة ٠ وقد جالت « الفكر » فى جميع مجالات حياتنا حتى اذا رجعنا الى المحاور التى أقامتها وبسطت البحث العلمى فيها ، نجدها محاور هى بمثابة المبادى الكلية لبناء النهضة التونسية وبلاد المغرب العربى بناء علميا حديثا وخلـق دولـة المغرب العربى المتحدة خلقا حضاريا وسياسيا ٠ ومن أهم تلك المحاور :

(1) الفكر وتطوره (2)

(2) الحرية بمختلف أبعادها (3)

(3) الجانب القومى والاجتماعى (4)

---

(2) على سبيل المثال الفكر العـدد السادس 1956 ، والثالث 1956 والعـدد السادس 1960 والسابع 1960 والعدد العدد الثامن 1967 والعدد السابع 70

(3) مثلا ، الفكر العدد الاول اكتوبر 1955 ، والعدد الثانى نوفمبر 1955 ، والعدد الثالث ديسمبر 1955 والعدد الرابع جانفى 1956،والعدد السابع أفريل 1956 والعدد الرابع جانفى 1963 ٠ والعدد العاشر ، جويلية 1960 والعدد الثالث ، ديسمبر 1964

(4) مثلا ، الفكر العدد الاول اكتوبر 1956 ، والعدد العاشر جويلية 1956 ، والعدد الثامن ماى 1967 والعدد الثانى نوفمبر 1969 ، والعـدد الرابـع جانفى 1970 والعدد الخامس فيفرى 1970 والعدد الثانى نوفمبر 1971 والعدد الرابع جانفى 1971 ، والعدد العاشـر جويليـة 1971 والعـدد السابع أفريل 1972

(4) الوحدة المغربية على أرضية التفتح والاصالة (5)

(5) ميدان التربية والتعليم (6)

(6) الادب والثقافة وقضية الالتزام (7)

(7) التخطيط ومدى جداوه في البناء الاقتصادي ٠

وعند كل محور من هذه المحاور ميدان فسيح للنظر والبحث والنقد والتصحيح ومضامير لرجال الفكر والسياسة لا تقديس فيها الا للفكر ولا إقرار الا للحقيقة ؛ فقد اتخذت الفكر لكل مواضيعها وسيلة وأداة واشترطت في الفكر الرائد مشاريط ، معالمها الانسانية بعيدا عن حرية الزيف ذات الحدود والسدود ٠ أما الفكرة القومية فبناء داخلي يأخذ منطلقاته التونسية نحو المغرب العربي لتعانق فيما بعد ربوعه بلاد المشرق ٠

وأما الادب فهو « ليس مأساة بالضرورة » ولكنه ايضا « تصوير أمين رائع لمعاناة الانسان تجربته في الوجود ، ومجاهدته الاهواء ، وصراعه مع الكون وطموحه الى التأثير فيه والسيادة عليه ٠ » ومن هنا كانت دعوات الفكر الحارة للخلق الادبي والدعوة الحرى للنهوض ببعض فروعه وكان العمل كذلك بالنسبة للميدان الثقافي وشتى الميادين الحيوية الاخرى عاملا مهما لتكييف حياتنا الادبية والقومية الكيفية التي نعيش اليوم كثيرا من مزاياها

---

(5) مثلا ، الفكر العدد السابع أفريل 1958 والعدد الاول اكتوبر 1963 ، والعدد الثاني نوفمبر 1965 والعدد الرابع جانفي 1965 ، والعدد السادس 1966 والعدد السابع أفريل 1971

(6) مثلا ، العدد الثالث ديسمبر 1960 ، والعدد السادس مارس 1970 والعدد السادس مارس 1971 ، والعدد الثامن ماي 1972

(7) مثلا ، العدد الثالث ديسمبر 1958 ، العدد الثامن 1959 والعدد الثالث ديسمبر 1961 والعدد الرابع جانفي 1961 والعدد السادس مارس 1963 ، والعدد الثاني نوفمبر 1964 والعدد الثامن ماي 1964 ، والعدد الثالث ديسمبر 1966 والعدد الرابع جانفي 1966 والعدد السابع أفريل 1966 ، والعدد الثامن ماي 1966 ، والعدد العاشر جويلية 1966 والعدد الرابع جانفي 1967 ، والعدد السابع أفريل 1967 ، والعدد الرابع جانفي 1968 والعدد الثالث ديسمبر 1969 والعدد التاسع جوان 1969 والعدد الاول اكتوبر 1964 والعدد السابع أفريل 1968 والعدد الاول اكتوبر 1969 والعدد التاسع جوان 1971 ٠

والجدير بالاشارة هنا أن « الفكر » بالنظر الى افتتاحياتها مرت بمراحل ثلاثة :

المرحلة الاولى : افتتاحيات بالغة الايجاز ، بالغة الحساسية في مجتمع استرد حريته حديثا ، ويكون الامضاء لهيئة التحرير .

المرحلة الثانية : افتتاحيات أقل ايجازا من سوابقها وتعالج قضايا أساسية مستجدة شرعت لتكون هزة للعقول وتحريكا للسواكن ــ وهى بامضاء الفكر.

المرحلة الثالثة والاخيرة : افتتاحيات وصلت الى درجة المقال السياسي والبحث العلمي المركز فيه اطناب وبسط وفيه تحليل وبيان . والامضاء في هذه المرحلة باسم السيد محمد مزالي صاحب المجلة .

وهذه المراحل الثلاثة تؤكد « للفكر » مسايرتها للمجتمع التونسي نشوءا وارتقاء ، فنضجا .

ونستطيع أن نؤكد من خلال ما أشرنا اليه في خصوص افتتاحيات «الفكر» ما يلي :

(1) أن القضايا التى عالجتها الفكر هى قضايا آنية مما يؤكد لنا أن الفكر التونسي يعايش المواكبة بكل ما فيها من معاناة وجودية .

(2) فكما أن الحياة وحدة لا تنفصل فكذلك السياسة لا تنفصل عن الفكر والفكر لا ينفصل عن الادب والفن لا ينفصل عن الحياة .

(3) مجلة الفكر من خلال افتتاحياتها جعلت أهم وكدها معايشة العصر بما فيه من مذاهب وتيارات لا حبا في ملاحقة تلك المذاهب والتيارات وانما انعتاقا يمليه المجتمع التونسي الجديد الذى أوجده الاستقلال وصنعته الحرية ليكون وجها لوجه مع المعاصرة .

وسر بقاء الفكر هو أنها الفكر ، لا هي مسجلة يتعثر شريطها في بقايا منجزات الامة ولا هي بدفتر تحنيط يحمل معتقدات منبتة عن واقع الوجود الزاخر . ولكنها مسبر من مسابر الفكر يبعث النماء ويورث الخصب ويصنع الحياة .

هـ. ح. غ.

احلى بنات القبيلة

شعر : عبد القادر بن شرودة

أنا مخطىءٌ
ما لبستُ المسوحَ
ولا لبس القلبُ جُبَّهْ
أنا مخطىءٌ
مثل كل الزهورِ الَّتِي نفضتْ كِسَرَ الطينِ
تستقبل العاصفهْ
أنا مخطىءٌ
مخطىءٌ
كالقنابلِ إذ تتساقطُ في الليلِ ،
في حدقِ الساهرينَ
نجوما مُذَنّبَة نَاسِفَهْ
أنا نجمةٌ ناسفهْ
ومخطئةٌ أغنياتي
الصّدَى
الحبّ
قلبي
فيا ويل من وَسَّدَ الريحَ قلبَهْ
أنا مخطىءٌ حين صرّعْتُ أبواب قلبي لَهَا
فأتتني بعطر الأحبهْ ....
... بورْدة حزْنٍ ممزّقَةٍ راعِفَهْ

أنا مخطىءٌ
رغم صدقِ المحبَّهْ
أنا مخطىءٌ
في هواكِ ،
ينازعني الفرح العابرَ
الإنعتاقَ
التجلّي
الرُؤَى الغامرهْ
يُطوقني مِئزَرا ناسفا
يتعمقني طعنة كاسرهْ
يلوح لعينيَّ وَمْضا خلُوبا مع الفجْرِ إذ يتنفسُ ،
أُلْفيه عندَ الضُّحى
في المساءِ
سياطا من النار ضارية ،
أتوسَّدُ قبلي لأكتم نبضَهُ ،
يرتجُ صدري لألفِ بكائيةٍ .
ترقَّبُني في منامي
وصحْوي
وبينهُمَا
تتناهى إليَّ من الكوخِ
والطينِ
والبيدرِ المقفرِ الضّارِع المتزهّدِ
في ربوةٍ داثرهْ
أنا مخطىءٌ

مخطىءٌ ...
أسَوِّيكِ فاتنــة ،،
يتفصّدُ نهداكِ عن لبَنٍ مالحٍ عكِرٍ ،،
أشتهيـكِ ،،
يُطالعني الدُمَّلُ المتراصفُ في شفتيكِ ،
أغنيـك
يرتطمُ الرّجْعُ "بالصّالحيّ" الحزينِ
المسافرِ
عَبْرَ الحقول الحزينـةِ
عَبْرَ الروابي الكئيبـةِ
عَبْرَ الرؤى القُزَحيَّةِ !!
أكسرُ قلبي وأعشقُ من غير قَلْب .
أنا مخطىءٌ إذْ توهّمْتُ أنكِ مثلُ الحبيباتِ ،،
تستلهميـنَ الحيـاةَ
الدّلالَ
الشّذَى
الحُسْنَ
من خلجاتِ المُحِبّ
أنا مَا عَشِقْتُ حبيبـا بمثلِ ضراوةِ حبِّكِ ،
أخلصتُ ،
صابرتُ ،
لكنني لم أحَبْ ... !
أنا مخطىءٌ لم أحبْ ... !
أنا كالذين أحبوكِ ،

ماتوا إحتراقا على قمَّةٍ من جبالِ الشمـالِ
على ربوةٍ في الجنوبِ ،
غريبا سأحْيَـا
غريبا سأفنَى ،
وأوصِي لطفلي بألا يُحِبْ ..
وتبقيـنَ نائيـة ،
مُهْرَتِي تتعثَّرُ في الدربِ
والدربُ طـالْ ..
أنا فارسٌ بَرْبَرِيٌ ،
وبيني وبينَ الحبيبةِ صحراءُ لاهبةٌ
أبْحُـرٌ
وتـلالٌ
،،، جبالْ ..
يغنِّي الزّنَاتِيُ من أجلِ قُرْطبَةَ النَّائيهْ (*)
على مهرةٍ تتعثَّرُ ،
تَمْضَغُ في مللٍ وانقباضٍ شَكيمتَهَا ،
وتريـدُ القتالَ
ولـكنَّ شمسَ الـزوالْ
تُحاصرُهَا ،
يتزحلقُ فارسُهَا ،
يتكومُ ،
تنحتُه الشمسُ والريحُ رابيـة خَاويهْ

(*) أنشودة زناتي : لوركـا ـ

وتبقينَ ،
تبقينَ
دوني ....
ودُونَ الأحبةِ نائية
نائيهْ
ومن سوف يدنيكِ منّي
وحولك ملحُ السباخِ
وصخرُ الكابةِ
ليل الهزيمةِ
يا وردَةَ شوهتها يد الأجنبيّ ،
وأنفُ العشيقِ المزيفِ ،
يا من نَذَرْنَا لَهَا ذاتَ يوم مهول ،
شيوخَ القبيلهْ
نَأحْيا على ذكرهم واحدا
واحدا
لم أزلْ عندَ مرْسَى « صَفَاقُسَ »
أشعلُ في كل عامٍ فتيلهْ
على مهرةٍ تتعثّرُ ،
أركبُ ،
أشهرُ سيفَهُ ، يَنْبُو .... ،
(لقدماتَ محترقا (*) ،
لم يبحْ بالوصيةِ بعْدَ الشّهَادَةِ) ،

(*) الشهيد بلقاسم بنشرودة : قائد المثاليث

مازالَ أنشودتي حينَ أستأنِفُ السيرَ ،
أطوِي الصحارَى إليكِ ،
ومازِلْتِ نائيـة
والعذاباتُ تكبُرُ
تطْفَحُ ،
حتّامَ ؟
حتّامَ ؟
لاَ ... لستُ أدْرِي متَى أتوَسَّدُ صَدْرَكِ ،،
كم ستَكونينَ إذْ ذَاكَ أحلَى بناتِ القَبيلهْ .

ع. ب. ش.

الحزن

قصة ، بقلم : محمد الحبيب السالمي

صاح بائع شاى أحمر فى مدينة حزينة ،
حزين مساؤها ٠
وحزين امتداد بناءاتها وحزينة أغصان أشجارها ٠

الليلة البارحة رأيت عندما كنت نائما أن لحيتى قد أبيضت وطالت وطالت وطالت ، فلامست الارض ولامست العشب ولامست الحجارة ، وأن الشاى الاحمر الذى أحمله فى ابريقى قد استحال الى دم ٠٠ لما رأيت ذلك ساورنى الخوف وداهمتنى أحاسيس غريبة متناقضة فصحت وكان صوتى غريبا كصوت النوارس فى المساء فالتف حولى المارة فهجت ورقصت وأخذت أوزع كؤوس الشاى وأقتلع شعرى الطويل وألقى به اليهم وأنشد : « هذا شعرى فخذوه انسجوا منه قمصانا تقيكم أمطار المدن أو خياما تضربونها فى صحاريكم » ٠

وكانوا هم يتقبلون ذلك ٠

هذا حلمى أبسطه عليكم يا عرافين ويا عرافات فاجتهدوا فى تفسيره وقدموه لى أبيض نقيا ٠

نظر الناس اليه فى هزء واستخفاف ٠ واحتقره البعض ٠ وضحك منه آخرون ٠

اشتاق الناس اليه ٠ سألوا عنه بعضهم بعضا ٠ فتشوا عنه الازقة والمواخير ٠٠ بحثوا عنه فى البوالات والمراحيض العمومية لكنهم لم يجدوه ٠

قال رجل وفى عينيه ذهول ومعاناة ولوعة :

« زاره عند الليل رجلان قويان كسرا ابريقه وداسا كؤوسه ثم حملاه معهما » ٠

قلبي يقطر كنافورة وفمي مفتوح وأنا متمدد على حشائش يابسة أتذكرك.
بدوى أنا تضج فى رأسى دماء القبيلة .

بدوى أتيت من القرية وسخا معفرا أحمل كل الاتربة والغبارات على جبينى وفى عينى . فأحبينى . بأوساخى . وأحبينى بوحل القرى وبروائح الزعتر والشيح والقيسوم التى تفوح قوية قوية من جسدى واعذرينى يا امرأة رقيقة الوجه ورقيقة الجسد ان أنا أدخلت رأسى بين فخذيك لاتشمم كالثور روائحك .

لما تهيأ القطار للرحيل كانت امرأة بدوية تنوح :

« ابنى .. ابنى .. ابنى قتلوه .. ابنى مزقوه .. ابنى قطعوه .. »

آه عليك يا على .. أوقعوا بك . كنت غبيا . لم تكن تدرى أن للجدران آذانا كبيرة .. ظلموك يا ابنى . لم يفهمك أحد .. عشت بينهم حزينا كطائر النورس عند المساء .. مررت بهم دون أن يحسوا بك ..

مساءات المدن حزينة يا ابنى ..

كانت المرأة تنوح وكان المسافرون صامتين .

رأى سكان المدينة فى المحطة عند الليل قطارا طويلا يستعد للرحيل لم يشاهدوا فيه رجالا ولا حقائب ولا أدباشا .

رأوا فى العربة الاخيرة امرأة حزينة حزينة حزينة .

سأقدم نفسى فى طبق لسواح بلدى .
سأنام حتى يعشش النمل فى خياشيمى .
سأبتلع كل أشواك الحدائق العمومية .
أيتها السحب هأنذا قادم على جواد حزين . حزين ذيله ، وحزينة قوائمه.
أيتها السحب احمليني معك . وازرعينى بذورا فى سوانى قريتى ، فأنا أريد أن أتنسم من قصب الزرع وورق الزيتون وحبات الرمل .

م. ح س.

أنا «العامري»

شعر : عبد الكريم الناعم
(سوريا)

هيَ الريح تفتح أبوابها حين نصغي ،
توسوس في الشجر المستراب وتمضي ،
أغاويك سربا ،
أفاوض عنكِ الرياح ،
أداريكِ لهفه
أطوف الليالي ،
فأرسم وجهكِ في كل ضفّه
أنا الطائف العامريُّ ،
أتيتكِ برقا ،
ولمعَ رعودٍ ،
فكوني الضياء الذي يستبيح التعري ،
ارقبيني ...
أضاحك وجه الصحاري ،
وزحف المدائنِ ،
أقرأ في «الشيخ» شيئا من الشعرِ ،
أطلع كل صباح مع الفجر ،
كفيَّ ضبابْ
فألمح وجهكِ شيئا يلوح بعيدا .. وراء السرابْ
وألمح وجه القوافل في كل فجٍ تساقُ ،

أسوق إليك القوافلَ ،
أحلو ،
أمدّ جناحيَ ظلا ، وماء ،
لكفيّ بَرْدُ الفراتِ ،
وفي مقلتيّ الربيعُ ،
وأنت الفصولْ

أطوفُ ..
أنا « العامريّ » ،
تواكبني البيد شرقا ، وغربا ،
توسّع جرحي الرياحَ ،
أرافق سربَ اليمام لعلي أراكِ ،
لعلي أقاد إلى حيث أنتِ ،
وحين أراكِ .. أتوه ..
وأجهلُ بابَ الوصول .

* * *

تمدّين عينا .. أمدّ الجراح ،
أقول خذيني ..
فيورق غصني ،
القصائد تزهرُ ،
أعرف انك حدّ المسار ،
وانكِ حدّي ،
ووهمَ مساري
وأعرف انك ظلمةَ ليلي ،
ووجهَ نهاري

فأقرأ من سورة الصبر عشرا
وأعلمُ أنك سر اصطبري .

* * *

أمدّ ذراعي .. ،
هو الجسر يعرف كيف يكون العبور ،
ويعرف كيف ابتدأنا ،
ويعرف كيف افترقنا ،
(لماذا افترقنا ؟!)
أنا «العامري» القتيل المساق بوجه القفارْ
أعود اليكم مع الطلّ ،
والجرس المستفيقِ ،
أعود مع الأغنيات على لهفةٍ من ضياء النهارْ
أنا «العامري» ..
فيا وجه ليلى أغثني ، اسقني وجه ليلى ،
ارفع السعف حتى أراه مناره
أيا وجه ليلى ..
أطوّف ،
أسأل عنك البشائرْ
وفيك البشاره
فيا وجه ليلى أعدني إليك
أعدني إليك
أعدني إليك .

ع٠ ن٠

الطبول تدق في كل مكان

قصة بقلم : عدنــان مبــارك

◆ **مقطـع أول :**

تلولبت وانقلبت ٠٠ بسرعة كانت تخترق صفحات الهــواء ٠٠ ثم استقرت على الارض بلا استقرار٠٠فقد تهشمت كليا٠وصوت التهشيم أجابته صيحات فرح ٠٠ وزغاريد رجعته عبر آذاننا والآذان التى قد تكون على استقامة آذاننا ٠٠ تفتح الوعاء الفخارى عن جوف اجوف لا يملؤه الا هــواء تتراقــص فيــه ذرات صغيرة شعاعية الحركة ٠٠ جوفى آلمتنى من الصدمة التى لم أكن أنتظرها ٠٠ فأرادت التجوف كما تجوف عقلى وجف ٠٠ والطبول تدق ومنــافخ أصحــاب الزكر تعلو حتى يكاد الدم ينفجر من أوداجها ٠٠ حتى الاكف لم تكتف بأكف الجلد والخشب ٠٠ فعملت بحزم لا يضاهيه حزم موظف فى مكتبه ولا استاذ فى فصله ٠٠ قد تضاهيه سرعة الايادى فى اتجاه الافواه عند اقتراب الثامنة ليلا من كل يوم ٠٠ وانضافت الى هذه الاصوات تقاسيم بنور تحس ولا تعــى ٠٠ فهى لذلك تسمع جعجعة ولا ترى طحنا ٠٠ وهل اصبح مثل هؤلاء الصغار لاننى لم أفهم شيئا ٠٠ لم أجد ما يهز الارداف ويجعل الايادى تشد الايادى ٠٠ وتخرج من تعود الرصانة عن وقاره ٠٠ الوقار ٠٠ الوقار ٠٠ كأنك شيخ يلهــو بعــد حمصات مسبحته ٠٠ وهل المسبحة غير هذه القلادة التى يضعونها حول أعناقهم يرقصون بها ويلهون بها ويجعلون من تراقصهم تلهو بها ٠٠ ذلك قد يكــون توفيقا بين الدين والدنيا ٠٠!

◆ **مقطـع ثــان :**

تلولبت وانقلبت ٠٠ بسرعة كانت تخترق صفحات الهواء ٠٠ ثم استقرت فى اذنى ٠٠ سمرتنى فى مكانى أياد أفواهها كثيرة الجذف٠٠كثيرة القذف٠٠ القذف فى الحرب بالقنابل ٠٠ وفى السلم بالايمان ! بالله وبمحمد وبالصحابة والتابعين ان تتبع رأيى وتبقى تشاركنا السهر ٠٠ أبقى فالبقاء سنة الوجود ٠٠ وهل الحياة هنا أو عبر الشوارع او فى الجامعة الا مخاضا واستمخاضا ٠٠ فما الفرق بين طبل يدق بعنف وأستاذ يلقى دروسه ؟! سأتعود سماع الطبول مثلما

تعودت سماع أحاديث الاساتذة .. يسكتنى الطبل وصوته .. لا اسمع شيئا غيره ولا استطيع الكلام لان كلامى سوف لن يسمع .. الاستاذ يفعل كذلك .. الاستاذ .. اسم مشقوق ومشتق .. أصله « أس » أى أسكت .. وأسكت لان الجماعة قد تخمروا مع علو الزكرة .. فلا مجال حتى للتفكير .. أحمد الله على أننى استطعت ادناء الكأس من فمى .. وشربت جرعات متراجعة .. هى وحدها التى رجعت لى ذكرى السكون ..

• **مقطع ثالث :**

تلولبت وانقلبت .. بسرعة كانت تخترق صفحات الهواء .. ثم استقرت فى رأسى .. ليست رصاصة لكنها كالرصاصة .. آلام مؤلمة .. لان من الآلام ما هو عذب .. وتصدع مخى .. أصبح كالكرة لا ادخال ولا اخراج كأن الدم قد تجمد فى عروقه .. تذكرت درس الفلسفة بجهد .. كل انسان يموت .. سقراط انسان .. سقراط يموت .. فقست عليه أن جماعة الحفلة كلهم مثلى مصدعو الرؤوس .. وتيقنت لذلك أن عديدا من المصالح مازالت تعيش حفلة الطبول .. حفلة الطبول تتواصل اياما فى رؤوس الحاضرين .. هى فعلا تتواصل أياما فى رؤوس الحاضرين .. فأنا أذكر أن كلام « الأس » يبقى متواصلا يدق فى ذهنى ويتمنم فى مخى .. حتى تنحق به « التاذ » .. فيصبح « الأس تاذ » أستاذا ..

ع٠م٠

« الفكر » تصدر عددا خاصا بالمرأة

تصدر مجلة « الفكر » فى مستهل الشهر القادم عددا خاصا بمناسبة السنة العالمية للمرأة .

ويحتوى العدد على جملة من الدراسات والبحوث القيمة وملفا من الانتاج الادبى بأقلام نسائية شابة .

صرخات الاطفال ... القادمة من بيروت ..

شعر : محمد الشابي

لم يعد
فى السيوف ... من
أخلاق ..
قد تهاوت مكارم
الأخلاق ...
ومدى الشرق ..
بالمذاهب ... قد
ضاق .. وضاقت
مساحة الآفاق ...
ورياح الأفكار .. هبت
علينا ... وغدا
للأشياء .. ألف مذاق ...

وجه بيروت ..
ساحر ... وإليها .. قد
تناهت رسائل ...
العشاق ..
فلماذا تجرى الدماء ... على
ساحاتها .. والأحزان
مثل السواقى !؟.
فيرى الناس
الموت .. زنبقة حمراء ...
فى الساحات ..
والأسواق ...

●

هذه كربلاء ..
عادت .. إلينا .. وأصيبت
بيروت ... بعد العراق ..
فاشربوا يا
أطفال ... ماء
دموعى .. إن حزنى ...
هو الستار الواقى ..
وتعالوا نبك ...
معا .. إننا فى
حاجة أن نبكى ...
من الأعماق ..

●

قلت : « .. فلنهرب ... يا
أبى .. »
قال : « لا إن رصاص
الأحباب ... كالأوراق .. » ...
خفت أن يقتل
العباد .. أبى ... أو
يقتلوا أمى .. أو يصيبوا
رفاقى ...
أنا شاهدت .. واحدا
ميتا ... كان مخيفا ..
وجامد الأحداق ...
يرتدى (بلودجين) ..
أزرق ... وقميصا سابحا .. فى
دم ... عليه مراق ..

●

فمه كان
فاغرا ··· ولقد كان
على ساعديه ··
بعض احتراق ···

●

« يا أبى ·· هل يصاب ··· فى
لحظة ما ··
بيتنا ·· هذا ··· بالرصاص
الباقى ··
آه كم أخشى ··· أن
أصير شريدا ·· ضائعا
فى المدى ··· مع الأشواق ··
وصدارى ··· ممزق ، وأنا
فى الأرض من إخفاق ·· إلى
إخفاق ··· » ··

●

إننى ·· أشكو ·· من
عذاب ··· بعقلى وعذاب ، فى
قلبى الخفاق ··
كنت ألقى الأعراب ···
خلفى ، وفى ذهنى
(هيقو) ·· يشكو
قسوة الخلاق ···
كان يبكى مثلى ·· وكنت
أراه ··· بجوارى يهم
باستنطاقى ··
قال لى : « لا أحب
قتل الصبايا ·· فابنتى ما
تزال فى أعماقى ··

إنها ماتت ··· غير
أن دموعى ·· وأحاسيسى ···
نحوها ، فى سباق ·· » ···

●

لم يعد فى نفس
المحارب ··· ذوق
جيد ··· رغم كثرة
الأذواق ···
إنه يقتل النساء ·· وهناك
البحر ··· والشمس
غضة الاشراق ···
فلماذا البنات ··· يقتلن ··
غدرا ··· والأمانى ···
تمحى بلا
إشفاق ··
ورؤوس الأطفال ···
تسقط ·· عنهم ، ألما ، مثل
زهرة الدراق ···

●

بعضنا ·· من تمغرب ··· كم
يعانى ·· ويعانى بعض ···
من استشراق ··
كان زيد ··· وكان
عمرو ·· يموتان ···
بسيف ·· على يدى
إسحاق ··
ودموع الحسين ··· بعد
قرون ، لم تزل
حتى الآن ·· خلف المآقى ···

وعلى ٠٠ قد مات ٠٠٠ لكنه
ما زال يسعى ٠٠ ما
بيننا ، لانشقاق ٠٠٠

●

آه ٠٠ ما أسوأ الأقارب ٠٠٠
والأحباب ٠٠
والساكنين ٠٠٠ فى الأعراق ٠٠
إننا الآن ٠٠٠ فى انتظار
زمان ٠٠ فيه نمشى
مع الوليد العاق ٠٠٠

●

اجلسى ٠٠ يا
أحزان فوق ضلوعى ٠٠٠
وكلى من دمى ٠٠ ومن
أعراقى ٠٠٠
قدر الله ٠٠ أننى واقف ٠٠٠ فى
هؤلاء الأعراب ٠٠
ضمن نطاق ٠٠٠
وخيول الأحلام ، داخل
ذهنى ٠٠ عجزت ٠٠٠ عن
توثب ٠٠ وانطلاق ٠٠٠
كل ناحية ٠٠ عليها
سيوف ٠٠٠ لنديم السلطان ٠٠ أو
للساقى ٠٠٠
والكلاب التى ٠٠ ترابط
حولى ٠٠ ملأت
كل ردهة ٠٠٠ ورواق ٠٠
وحـدهـا أصـوات المـواليـن ٠٠٠
والحراس ٠٠

تبقى مرفوعة الأعناق ٠٠٠
وحده الشاعر المدافع ٠٠
عنه ٠٠٠ رثاه
تحتاج لاستنشاق ٠٠
والكلام الباقى ٠٠٠ يصادر ٠٠ لا
ينجو من السلطان ٠٠٠
الكلام الراقى ٠٠

●

ركضوا خلف مبدإ ٠٠٠
واختيار ٠٠ وقعوا
بالابهام ٠٠٠ فى
ميثاق ٠٠
وعيون الأعداء ٠٠٠ كانت
تراهم ٠٠ وهم فى
تباعد وتلاقى ٠٠٠
فعلوا كل ما
يروق ٠٠ إليهم ٠٠ نفخوا ،
كالمعتوه ، فى الأبواق ٠٠

●

لم أزل ٠٠ بعد واقفا ٠٠ خلف
حزنى ، من دموعى
وصحتى ٠٠٠ إنفاقى ٠٠
ومعى الناس ٠ يبحثون
طويلا ٠٠ عن حياة ٠٠٠ وفرحة ٠٠
وانعتاق ٠٠٠
فيموت الكثير ٠٠ دون
وصول ٠٠٠ والأمانى الخضراء ٠٠
فى الأحداق ٠٠٠
ما الذى يرتجيه ٠٠
عبد ضعيف ٠٠٠ من إله ٠٠

مسافر ... فى النفاق ...

●

سامحى .. يا
بيروت ... طفلا صغيرا .. إن
تعدى الكلام ... اقصى
نطاق ..
قد يقول المسجون ...
شيئا غريبا .. إذ
يطيل السجان
شد الوثاق ...
ويحس المحب ..
شيئا كثيرا ... وجميلا ،
بحدسه الدفاق ..

●

طال بالعاشقين ... طول
انتظار .. وشجتنى
دقائق الاطراق ...
فاكتبى .. يا بيروت
لى كلمات ... حلوة
كالأحلام .. فى
أعماقى ...

●

يا سيوف الأعراب ..
غضى عيونا ... تلك
أدنى مبادىء
الأخلاق ..

م. ش.

تطريز على جسد المنفى

« الى السويلمى بوجمعة تحت سماء أخرى »

شعر : محمد أحمد القابسي

لانك كالعمر جئت مرة واحدة
ابدا تخرج الشجرة من يدى
وتنفر بغير الحزن المعتق الذاكرة !
لانك كالعمر تأتين !..
أنام ها طعم المسافات فى فمى
ها نقع الخيول من مدن السبى وافدة :
يأتى بك طائر النار
إذ تحترق غابة العشاق
وأظل النوتى أجيد التطريز على جسد المنفى
أعلن للعرائس حكمة البحر ...
يا موجة تغيم فى الازرق الطامى
مهما مشطك الضياع ...
أبدا الى غير الشاطىء عائدة !

* * *

بينى وبين المحيط أنت
بينى وبين الموت
أخيطك على الاشرعة المتعبة
هاجسا كبيرا كالبحر
حزنا قديمـا كالبحر
آه ... أصيح بأعلى صوتى
يا امرأة رائعة جدا
خائنة جدا
مريض أنا فيك بالزهـرى والنخـاع والفدة
وبالكتب الصفراء !...
وبكل العادات السرية
وبأشياء عدة ...
فدعينى أجرب المشى فى الجهة اليسرى
وأعلن الجولة الفاصلة :
على الصفحـات الاولى أكتب اللحظـة الحاضرة ...
يا أهل المدن والبادية
اسمعوا النداء :
« من يتدبر لغما للخليفة
نعطه ألف بعير !...
نزوجه الليلة الجازية »

* * *

على جسد المنفى بدأت المشى فى الجهة اليسرى
واذكر ...
كان الخليفة يحملنى فىحقائب النزهة
وكل المواكب حقائب :
رجال ، كلاب ، نساء
واذكر ... كان الطريق نذورا ظفائر حناء :
اليوم خمر
الكعبة قبلة كل المؤمنين

فمن يخلع صاحبنا ...
اليوم خمر
وحدك تحمل منفاك « أباذر » ،
وتمضى فى الصحراء
اليوم خمر !
« ألا لا يجهلن أحد علينا »
وأن شرب كدرا كل الفقراء
....
آه فى كفى منبت الريح والياسمين
تتناسل العصافير والسنابل
انتظرتك ... تأتين كالعمر مرة
واحدة
مسكون انا بالزرقة
ها كفى فيه الخيل وافدة
الابل وافدة
كل المواكب وافدة
أعرف تصل قبلى الطريق لكننى
أواصل
سادرك الخليفة يستحم مع جارية
سأزوجه الليلة لغما
ولن أتزوج الجازية

م. أ. ق.

تونس صائفة 75

من محتويات أعدادنا القادمة

- « المستشفيات بتونس » : للدكتور أحمد بن ميلاد
- « الترادف اللغوى » : بقلم : مصطفى بوهلال
- « المهرج » : تمثيلية : لحسن نصر
- « عندما تصهل الجياد » : قصة محسن بن ضياف
- « فى القطار القديم » : قصة مراد عبد السلام عياد
- « حينا والوحل والعجوز » : قصة محمد باردى

مطالعات

تجديد الفكر العربي

368 ص ـ دار الشروق ـ طبعة ثانية 1973

تاليف : الدكتور زكي نجيب محمود

تقديم : عبد العزيز الهاني

ان « تجديد الفكر العربي » الذى يعالجه زكي نجيب محمود ليس من محاور الاهتمام الغريبة عن المثقف العربي بل شغل بال رجال الاصلاح الديني والسياسي والاجتماعي والثقافي منذ فجر النهضة العربية الاسلامية الى الآن سواء في المشرق أو في المغرب العربيين (1) .

(1) انظر على سبيل المثال :

- رفاعة الطهطاوي : (1801 ـ 1873) فى كتابه : « تخليص الابريز في تخليص باريز » (1834) .
- خير الدين التونسي : (1822 ـ 1889) فى كتابه : « أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك » تونس 1867 .
- محمد إقبال : « 1873 ـ 1938) فى كتاب « تجديد التفكير الديني في الاسلام » وهو عبارة عن محاضرات ستة ألقاها إقبال في الهند سنتي 1928 ـ 1929 .
- طه حسين : (1889 ـ 1973) فى كتاب : « في الادب الجاهلي » سنة 1926 .
- محجوب بن ميلاد : « تحريك السواكن في شؤون التربية » تونس 1960 .
  « تحريك السواكن في سبل السنة الاسلامية » تونس 1962 .

وقد طرح المؤلف القضية فى مقدمة الكتاب قائلا : « إن مشكلة المشكلات فى حياتنا الثقافية الراهنة ليست هى : كم أخذنا من ثقافات الغرب وكم ينبغى لنا أن نزيد وانما هى : كيف نوائم بين ذلك الفكر الوافد الذى بغيره يفلت منا عصرنا أو نفلت منه وبين تراثنا الذى بغيره تفلت منا عروبتنا أو نفلت منها وبعبارة أخرى « ما هو الطريق الى فكر عربى يضمن له أن يكون عربيا حقا ومعاصرا حقا ؟ » .

أما صاحب الكتاب فيعرف نفسه بأنه « واحد من ألوف المثقفين العرب الذين فتحت عيونهم على فكر أوروبى فألم بشىء من ثقافة أوروبا وأمريكا وجهل جهلا يكاد يكون تاما التراث العربى ، إلا أنه استيقظ « فاذا هو يحس الحيرة تؤرقه فطفق فى بضعة الاعوام الاخيرة التى قد لا تزيد على سبعة أو ثمانية يزدرد تراث آبائه ازدراد العجلان » متسائلا عن طريق البلوغ الى « ثقافة موحدة متسقة يعيشها مثقف حى فى عصرنا بحيث يندمج فيها المنقول والاصيل فى نظرة واحدة ؟ » .

أما من الناحية الفكرية فهو ينتمى الى تيار « التجريبية العلمية أو الوضعية المنطقية » (1) وقد دعاه الى وضع الكتاب ما حلله المؤلف (ص 83) قائلا : « فى غمرة هاتين المعركتين - معركة الكلام ومعركة السلاح - ترتفع أصوات المشفقين على الامة العربية من مصير قد ينتهى الى ما يشبه الدمار السياسى والحضارى ... وبأن طريقة الخلاص أن نستمسك بالدين والعروبة أو بغيرها ... فالسؤال المطروح : على أى نحو يكون التمسك بتراثنا الدينى والثقافى العربى ممسكا لنا من الانهيار والهزيمة » ؟

وينقسم الكتاب الى قسمين :

- عبد الله العروى : (بالفرنسية) « الايديولوجية العربية المعاصرة » باريس 1967 - 224 ص .
- أنور عبد الملك : (بالفرنسية) « الايديولوجية والنهضة القومية لمصر المعاصرة » باريس 1969 - 575 ص .
- صالح العظمة : « نقد الفكر الدينى » بيروت 1972 .

وكذلك مجلتى « المباحث » و « الفكر » التونسيتين ومجلة « الأصالة الجزائرية » ...

(1) انظر ص 384 .

يعالج فى القسم الاول : العوامل المعوقة للفكر العربى وهى :

- ثقافة فى تراثنا لا نعيشها .
- غربة الروح بين أهلها .
- صراع ثقافى قديم .

وفى القسم الثانى : يؤكد المؤلف :

- ضرورة التحول :
  أ) من فكر قديم الى فكر جديد .
  ب) المبادىء حقائق هى أم فروض ؟
- ثورة فى اللغة :
  أ) من اللغة تبدأ ثورة التجديد .
  ب) من حضارة اللفظ الى حضارة الاداء .
- فلسفة عربية مقترحة :
  أ) ثنائية السماء والارض .
  ب) ثنائية الطبيعة والفن .
- قيم باقية من تراثنا :
  أ) قيمة العقل فى تراثنا ...
- شىء عن الانسان :
  أ) نموذج عن الانسان فى تراثنا .
  ب) الانسان العربى كيف يواجه الطبيعة ؟

1 - القسم الاول :

ففى القسم الاول يستعرض المؤلف العوامل الثلاثة المعوقة للفكر العربى وهى :

1) **أن يكون صاحب السلطان السياسى** هو فى الوقت نفسه وبسبب سلطانه السياسى **صاحب الرأى** لا أن يكون صاحب رأى (بغير أداة تعريف) وتعرض الى المحن التى أصابت رجالا استشهدوا فى سبيل الدفاع

عن مثلهم السامية أو عذبوا من قبل السلطة ومن بينهم ابن حنبل الفقيه وأبو منصور الحلاج المتصوف المقتول سنة (309 هـ) وبشار بن برد الشاعر وابن المقفع الاديب (1) ٠

2) أن يكون للسلف علينا ضغط فكرى فنميل الى الدوران فى ما قالوه وما أعادوه ألف ألف مرة ٠

3) الايمان بقدرة الانسان ـ لا كل انسان بل المقربون منهم ـ على تعطيل قوانين العمل كلما شاؤوا ٠٠٠

ثم يستعرض المشكلات الحديثة التى لا يجد لها المثقف العربى صدى فى تراثه وعلى رأس هذه المشكلات « مشكلة الحرية بمعناها السياسى ومعناها الاجتماعى وهما المعنيان اللذان تدور حولهما أرجاء الحياة المعاصرة معظمها إن لم يكن جميعها » وعنها تفرعت مشكلات : منها مشكلة حرية المرأة ومشكلة الدخول فى عصر العلم بالاعتماد على العلوم والتقنيات ومشكلة الوحدة العربية والقومية العربية لمجابهة الغزو الصهيونى ٠

ويعتبر المؤلف عصرنا هذا لا يجد شفاء فى ما قاله هؤلاء السلف فى أمورهم حتى وان ثبت أن غيرنا قد وجد فيه الدواء الشافى لما يعرض له من مشكلات ذلك أن محور البحث عند هؤلاء المفكرين الغابرين ـ اذا استثنينا بعض معارف الفلاسفة ومباحثهم ـ هو علاقة الانسان بالله وبالرسول وبالرسالة ٠٠٠ « فى حين ان الانسان العربى اليوم اصبحت له مشكلات أخرى تدور حول علاقة الانسان بالطبيعة وبالصناعة وبزميله الانسان » ومن هنا كانت غربة العربى إزاء التراث ويقترح المؤلف أن نأخذ الشكل دون المضمون **كعقلانية السلف** مثلا إذ أن الدين لم يعد محور اهتمام المفكرين كما كان عند الاسلاف لما كانت الفرق الاسلامية « تدير اهتماماتها على مشكلات دينية مأخوذة من زاوية بعيدة بعدا شديدا عن المجال الفكرى الذى يتحرك فيه هذا العصر ومن يريدون العيش فيه » (2) ٠

---

(1) انظر تراجم : أحمد بن حنبل وبشار بن برد وابن المقفع فى دائرة المعارف الاسلامية وترجمة الحلاج فى كتاب « شخصيات قلقة فى الاسلام » للدكتور عبد الرحمان بدوى ـ القاهرة 1946 ٠

(2) انظر ص 105 ٠

وقد عد لهذا جماعة المعتزلة أهم فرقة يمكن أن نرثها فى طريقتها العقلية ومنهاجها المنطقى عند النظر الى المشاكل والمحاور الدينية والاخلاقية ، وأكد المؤلف على « أننا فى حاجة الى الوقفة المعتزلية من المشكلات القائمة . فنحن أحوج ما نكون الى سند من التراث يسندنا الى حرية الفرد فى فكره وسلوكه ... والى مشاركة الفرد فى حياة المجتمع مشاركة فعالة مسؤولة » (1) .

أما عن الأشاعرة فيمكن ـ حسب المؤلف ـ أخذ نظرتهم فى ضرورة الوقوف « بالعقل عند آخر حد نستطيع بلوغه وبهذا نجعل الدين موكولا الى الايمان » (2) .

ومن المحاور التى لم تعد محاور اهتمامنا اليوم من حيث المضمون ما سماه المؤلف بالصراع الثقافى القديم المتمثل فى الشعوبية وما تبعها من زندقة من جهة ، وفى بدعة الباطنية التى كانت تستهدف من وراء ستارها الدينى الحصول على السلطة السياسية .

وتذكرنا هجومات المؤلف على المتعصبين للعاطفة الرافضين للاجتهاد بالهجومات التى شنها فى الخمسينات الاستاذ ـ ابن ميلاد ـ على فقهاء تونس فى ذلك العهد (3) .

2 ـ **القسم الثانى** :

وقد تضمن القسم الثانى من الكتاب مقترح المؤلف المتمثل فى ضرورة التحول من فكر قديم الى فكر جديد حتى نعيش عصرنا بفكره ومشكلاته مدعماً رأيه بعدة أمثلة من المفاهيم التى تجاوزتها الاحداث : فلفظتا « علم » و « عمل » مثلا لم يعد لهما نفس المضمون مثلما كانت عند أبى حامد الغزالى (4) وكذلك لفظة « الحرية » عند المعتزلة كانت تفيد « **حرية الفعل** » لا « حرية الفكر » .

---

(1) نفس المرجع ص 123 .
(2) نفس المرجع ص 124 .
(3) انظر كتابه : « تحريك السواكن فى سبيل السنة الاسلامية » ـ تونس 1962 .
(4) انظر كتابه : « ميزان العمل » .

ويرى الكاتب أن تغيير بعض المبادىء القديمة باعتبارها فرضيات لزمن معين أمر ضرورى ، ومن بين هذه الفروض :

أ) اعتبار القدامى الكتابة ضربا من ضروب إبراز العضلات اللغوية و « إقامة برهان على غزارة علم باللغة وعيونها » أكثر من أى شىء آخر وهو ما لا نوافق عليه المؤلف بعد حين .

ب) أن الحاكم هو صاحب السلطان وهو فى الوقت نفسه صاحب الرأى فصار **رأى السلطان سلطان الآراء** مما أدى الى كثير من المحن والبلايا لا تليق بهذا العصر وقيمه الجديدة التقدمية .

ج) أن مدار التعليم هو إعادة الموروث واجتراره لكى يجىء استمرارا للسلف ، وضرورة إصلاح أوضاع التعليم مفهوما وطرقا وتجديد النظرة الى الثقافة لا تزال الى الآن محور المفكرين العرب قادة سياسيين كانوا أو قادة فكر (1) .

والثورة الفكرية فى نظر المؤلف يجب أن تبدأ من اللغة حتى لا تبقى عندنا « اللغة » نغم يطير بنا عن أرض الواقع ويصعد بنا الى اللانهائى المطلق » ص 219 .

والغريب عند المؤلف رأى يساند فيه المستشرق جاك بارك قائلا (ص 217) :

« إن الفصحى لم تكن فى تراثنا الادبى أداة للاتصال بمشكلات العالم الارضى ، ولا وسيلة للثقافة المتصلة بحياة الناس وأزماتهم ، بل كانت مجالا للفن الذى يهوم فى السماء أو ما يشبه السماء » .

---

(1) انظر مجلة « الفكر » التونسية عدد 7 – السنة 18 – افريل 1973 – وهو عدد خاص ممتاز اهتم بالمؤتمر التاسع للادباء العرب المنعقد فى مارس 1973 بتونس وضم دراسات لادباء من مختلف البلاد العربية تعالج قضية : الثقافة العربية : حاضرها ومصيرها ، ومنزلة الاديب العربى ورسالته ...

ومما يزيد هذا الحكم العام غرابة أنه لم يستند الى أمثلة محسوسة مستمدة من التراث تعكس بعدها على مشاغل الناس وأزماتهم وتحليقها فى النظريات الخيالية التى لا تمس إلا الطبقة الخاصة من المجتمع . فكيف لم تعبر اللغة الفصيحة فى نثر ابن المقفع والجاحظ والهمذانى والحلاج وأبى حيان التوحيدى ... وفى شعر أبى العتاهية وأبى نواس والمعرى والشابى ـ عن مشاغل الخاصة ـ والعامة . ولم تصور أزماتهم النفسية والاجتماعية والعقائدية ؟

ألا يحتاج هذا الرأى العام الخطير الى مستند قبل أن يرسله صاحبه الدكتور ؟

ألم يرسم الادباء القدامى واقعهم الفكرى والاجتماعى والسياسى مما أدى بالكثير منهم الى المشانق والمجازر وشديد العذاب ـ وهو ذكر بعضهم عند حديثه عن قمع حرية الفكر من قبل السلطة فى القديم ؟

ألم يهتم التوحيدى مثلا بواقع عصره فى جزئياته حين يقدم لنا إحصاء لجماعة من المغنين والظرفاء قائلا (1) : « وقد أحصينا ـ ونحن جماعة فى الكرخ ـ أربعمائة وستين جارية فى الجانبين ، ومائة وعشرين حرة ، وخمسة وتسعين من الصبيان البدور يجمعون بين الحذق والحسن والظرف والعشرة ، هذا سوى من كنا لا نظفر به ولا نصل اليه لعزته وحرسه ورقبائه ... » ؟

ألم يرسم لنا الهمذانى فى مقاماته مظهرا جديدا للنفس الانسانية فى تحليلها للحصول على الرزق وفقا لمذهب جديد يعرف اليوم بالذرائعية التى تتمثل فى أن الغاية تبرر الواسطة والتى نزلها المكدون فى القرن الرابع الهجرى من منزلة الفكرة والنظرية الى منزلة السلوك والتطبيق ؟

نعم ، كان القدامى يهتمون باللغة اهتماما بعيدا نجد أصداءه فى رسالة الغفران للمعرى ومقامات الهمذانى وغير ذلك لكن هذا الاهتمام لم يصل بهم الى الهذيان اللغوى والتشدق بغريب اللغة بشكل يجعل زكى نجيب محمود يعتقد أن أدباءنا السالفين كانوا يجرون وراء اللفظ فقط ويصرح بأنك (2) :

---

(1) انظر كتاب « الامتاع والمؤانسة » الجزء الثانى ـ ص 183 ـ ط أحمد أمين وأحمد الزين .

(2) انظر الكتاب ص 233 .

« تقرأ المقامة من المقامات بل تقرأ صفحات طوالا عند رجل عاقل كأبي العلاء – في رسالة الغفران مثلا – فلا تجد إلا الرغبة في إقامة البرهان على أنه **يعرف اللغة من حيث هي لغة قائمة بذاتها** لا من حيث هي أداة للمعرفة وناقلة للاخبار والمعلومات عن أشياء الدنيا وكائناتها » .

ومن الغريب أيضا أننا نجد نقيض هذا الرأي على لسانه بعد صفحات حيث يسم الادب العربي بالايجاز والاقتصاد اللغويين قائلا (1) : « إن الأدب العربي في شتى صوره وأشكاله ، كان مداره الحكمة العامة **الموجزة المركزة في حيز ضئيل من اللفظ** » .

ألا يبطل هذا التناقض دعوى المؤلف المتمثلة في أن المقامات ورسالة الغفران ليست إلا مظهرا من مظاهر تدرب الاسلاف على الاساليب البلاغية وإبرازا للاحاطة الشاملة بدقائق اللغة وحفظا لغريبها ومتداولها ؟

على أن طرافة الرأي تكمن في الشبه الموجود بين رأي الدكتور وبين آراء معاصري المعري المتعصبين على أدبه الذين لم يفقهوا في الواقع الابعاد الفكرية والعقائدية وأعماق الكاتب الفلسفية للرسالة ورأوا فيها مجرد رياضة لغوية من قبل دعي ذي عاهة يريد تعويضها عن طريق حفظه وغزارة ثقافته .

ويؤكد المؤلف على ضرورة التحول من « حضارة اللفظ الى حضارة الأداء » والى الخروج من طور الفتنة باللفظ واللغة الى طور الاشارة والرمز . وقد ألح على هذا كثير من الادباء التونسيين المعاصرين (2) وعلى ضرورة تيسير اللغة الفصيحة وإثرائها باللغة العامية ، نذكر من بينهم الاستاذ البشير بن سلامة (3) (في كتابه عن الشخصية التونسية ص 109) الذي طالب بأن تأخذ دراسة الفصيحة اتجاهها الى « معرفة خصائص العامية وجهة القصد منها تطعيم العربية الفصحى التي بعدت نوعا ما عن الحياة حتى تزول الفوارق. وهذا التطعيم لا يعني بحال إدخال الضيم على الفصحى في نحوها ، بل هو

---

(1) « تجديد الفكر العربي » ص 278 .

(2) انظر كتاب الاستاذ محمد مزالي « المواقف » ص 323 .

(3) انظر كتابيه :

1 – « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » الدار التونسية للنشر 1971 .

2 – « الشخصية التونسية : خصائصها ومقوماتها » ، تونس 1974 .

بعث الحياة فى هياكل الجملة ، فتظهر التراكيب قديمة متفقة مع القواعد المعروفة وهى فى الواقع قد طبعت بنفس جديد خاضع لمقومات العامية » ٠

أما عن الفلسفة العربية المقترحة فهى عند المؤلف الفلسفة التى تصور ثنائية السماء والارض ، وتجمع ثنائية الطبيعة والفن إذ « بالعلم نعرف العالم ونغيره وبالفن الذاتى نعرف الانسان ونقومه » (1) فلا بد إذن من الحفاظ على القيم الخالدة التى نجدها فى التراث كمنزلة العقل عند المعتزلة مثلا ودراستها على ضوء مقتضيات العصر وتجسيم كل ذلك فى محتوى التربية والتعليم حتى يسهم التراث فى الانقلاب العقلى الضرورى لكل إصلاح اجتماعى فكرى (1) ، ولا بد من الجمع بين العلم والعمل وتغليب العقل على الهوى واستشهد المؤلف بأقوال مختلفة من تراث السلف (2) لتدعيم هذه الطرق المقترحة للاصلاح ، وفى الجملة فان الكتاب ـ على ما فيه من فوائد ـ لا يخلو من نقاط ضعف على مستوى الآراء والمبنى ٠

2 ـ **نقد الكتاب : أ) الآراء :**

1) إن أول ما يسترعى الانتباه أن المؤلف يقتصر فى عرض حالة الفكر فى البلاد العربية على مفكرين مصريين فقط كأنه يعتبر الفكر المصرى « مقياسا لا ينكسر » أو صورة صادقة تعكس حالة الفكر فى سائر البلاد العربية فى حين أنه جزء من الفكر العربى المعاصر لا كله ٠ وهذا ما يبعد الدراسة عن الصبغة الموضوعية التى تعتمد الشمول والاحاطة بالجزئيات قبل إصدار الاحكام العامة : ففى إطار تصنيفه للمذاهب الفكرية العربية المعاصرة ومواقف أصحابها من التراث العربى القديم والفكر الغربى المعاصر تراه يقتصر على ذكر العقاد وطه حسين ومحمد عبده وأحمد أمين وتوفيق الحكيم (3) ٠

---

(1) انظر كتاب الاستاذ : محجوب بن ميلاد : « تحريك السواكن فى سبل السنة الاسلامية » ٠

(2) انظر الغزالى : « ميزان العمل » و « معيار العلم » ٠
ابن مسكويه : « تهذيب الاخلاق » والرازى فى كتاب : « الطب الروحى » والجاحظ : فى رسالة « المعاش والمعاد » ٠

(3) انظر ص 292 ٠

ولئن كنا **لا نشك فى منزلة هؤلاء الادباء** ــ على ما بينهم من تفاوت ــ **فاننا لا نعتبرهم الممثلين الوحيدين للفكر العربى** فى مواقفهم من هذه القضية ، بل نجد الكثير من المفكرين العرب غير المصريين الذين عالجوها ، فلعل عدم إلمام المؤلف بحالة الفكر والمفكرين فى الاقطار العربية خارج مصر وبالحركات الثقافية هو عذره فى إغفاله ذكر أعلام الفكر والنهضة .

2) ثم إن معانى الشعور بالاختناق الفكرى والعبودية الثقافية الناشئة عن قمع السلطة السياسية حرية الفكر ، تكررت فى مواضع عديدة من الكتاب كقوله (1) : « الكلمة عندنا لصاحب القوة ، القول النافذ لصاحب الجاه ، الحق مع صاحب النفوذ . وإننا لنخدع أنفسنا حين نقول إن النظم الديمقراطية التى قد نصطنعها جادين مخلصين تكفل لنا الديمقراطية محتوى ومضمونا » .

فهل ينضاف بهذه التصريحات الى التيار المندد بالنظام السياسى المصرى فى الستينات ــ زمن تأليف الكتاب وفى عهد نكسة جوان **1967** ــ منضما بذلك الى التيار الفكرى الذى بعث أوجه مع كتاب توفيق **الحكيم « عودة الوعى »** (2) حيث وضعت رسالة المفكر العربى المعاصر ومنزلته ودوره إزاء المجتمع بنظمه السياسية والاجتماعية والاخلاقية ، موضع البحث والتفكير وإعادة النظر .

ب ــ المنهج المتوخى :

أما على صعيد المنهج المتوخى فانه مفيد فى الجملة إذ يقدم الكاتب بطريقة تعليمية معلومات مختصرة عن تاريخ العرب القديم وعلومهم وعن الفرق الاسلامية ومقالاتها ، وعن المفكرين ومشاغلهم مما يجعل الاقبال عليه كبيرا من قبل القراء ويفيدهم دون كبير عناء . فقد حوى تعريفات موجزة للشيعة (3) والمعتزلة (4) وحركة الشعوبية ومظهر الزندقة (5) مشيرا الى الخلافات التى كانت بينهم والى محاور اهتمامهم . وهذه المعلومات التى ينقلها

---

(1) انظر ص 296 .
(2) « عودة الوعى » ــ الطبعة الثانية ــ دار الشروق لبنان ــ ديسمبر 1974.
(3) انظر ص 109 .
(4) انظر ص 118 .
(5) نفس المرجع ص 146 .

المؤلف جعلته أحيانا يضل وراء الجزئيات والفروع التى لا تتصل مباشرة بموضوع الكتاب : فاذا بك أمام استطرادات طريفة حينا إذ يقول ساردا خبر المقنع الخراساني : « فقد كان رجلا دميما قميئا أعور وضع لنفسه قناعا من ذهب وزعم للناس أن هذا هو وجهه » ـ وأحيانا أمام إشارات دقيقة لمسائل شائكة يعرضها دون ذكر المصدر أو المرجع اللذين قد يفيدان الباحث فى المسائل الدينية أو العقائدية والاختلافات المذهبية والسياسية لتلك الفرق والمذاهب ٠

فقد نقل لنا المؤلف صورة حية عن محاكمة ابن حنبل أثناء محنة خلق القرآن (1) مع جماعة من الفقهاء السنيين الذين أبوا التصريح بنظرية « خلق القرآن » إرضاء لصاحب السلطة السياسية ، وصورا أخرى لمواقف رجال صمدوا على المبادىء والمثل مثل الحلاج (المتوفى سنة 309 هـ) وبشار بن برد وابن المقفع ٠٠٠ دون أن يذكر المصادر التاريخية التى قد تلقى أضواء مفيدة على طبيعة الخبر والمخبر ونصيبهما من الصدق والكذب (2) ٠

وختاما فان كتاب « تجديد الفكر العربى » مساهمة من قبل الدكتور زكى نجيب محمود فى الحوار حول منزلة الفكر العربى حاضرا ومستقبلا على ضوء التراث ، وتقييم للثقافة العربية الاسلامية بما حوته من فكر وأدب وفلسفة وسلوك على ضوء مذهب التجريبية العلمية أو المنطقية الوضعية الذى ينتسب اليه المؤلف انتسابا فكريا ٠

والكتاب محاولة ـ وإن ابتعدت عن الطرق العلمية فى البحث والتحليل والاستقراء والاستنتاج ـ لايجاد معالم البعث لفكرنا العربى المعاصر بعثا يضمن له الاصالة بانتمائه الى التراث العربى الاصيل ، والطرافة بتجاوبه مع مقتضيات العصر ٠ وقد صاغها صاحبها فى شكل هو فى الاساليب الادبية الشعرية أدخل منه فى الاساليب العلمية الجافة ومرة أخرى تلتقى الفلسفة مع الشاعرية على صعيد الابداع الفنى وتكون همزة وصل للتراث الانسانى الخالد حيث وضع الفيلسوف الكبير أرسطو منذ القدم كتابا فى « فن الشعر » ٠

ع٠ هـ٠

---

(1) انظر ص 39 ٠٠٠ 46 ٠

(2) أنظر مقدمة ابن خلدون : « فضل علم التاريخ ٠٠٠ واهتمام المؤرخين »٠

أضواء الفكر

• مجلة « الفكر » تحتفل باختتام سنتها العشرين :

عقب صدور العدد الاخير من سنتها العشرين فى شهر جويلية الماضى ، أقامت مجلة « الفكر » حفلا لطيفا بناديها حضرته أسرة المجلة ونخبة من الادباء والباحثين الذين واكبوا مسيرتها وواظبوا على تزويدها بانتاجهم طوال هذه المسيرة التى استغرقت عقدين من الزمن ٠

وخلال هذه الجلسة تبادل أعضاء الاسرة جملة من الذكريات عن الخطى الاولى للمجلة وما اعترض سبيلها من صعوبات استطاعت بفضل الصمود والثبات تجاوزها ، الى أن عمرت هذه المدة الطويلة نسبيا ، اذ لم تعمرها قبلها مجلة تونسية أخرى ، كما تعرضوا الى آفاق السنة المقبلة وتناقشوا فى الخطوط العريضة لمحتوى كل من العددين الخاصين اللذين تنوى « الفكر » افتتاح سنتها الواحدة والعشرين بهما ، وأولهما « من وحى الكفاح الفلسطينى » والثانى « عدد خاص بالسنة العالمية للمرأة » ٠

إثر ذلك دعا الاستاذ محمد مزالى مدير مجلة « الفكر » كافة الحاضرين الى مأدبة عشاء بمطعم « نبتون » بضاحية قرطاج أقامتها المجلة احتفاء بهذه الذكرى العزيزة ٠

ولم يكد المدعوون يلتقون حول المائدة حتى ارتجل أحد الشعراء الشبان هذا البيت :

أتينا عطاشا لقرطاجة نسائل : أين عصير العنب ؟

فأضاف زميل له يجلس بجانبه :

فبالله هبنا عصير الكروم فانا سئمنا عصير السحب

ومن طريف ما حدث أن الشعراء الذين كانوا حاضرين انساقوا عقب ذلك فى مساجلة فكهة أضفت على الجو روحا من المرح ساد كامل السهرة ، ونحن نورد بعض ما سجلناه عنهم مما ارتجلوه :

قال أحدهم للتعليق على صورة كاريكاتورية برزت فى غلاف مجلة الاذاعة لبعض الاخوان ــ وكان حاضرا ــ ولمح فى الاثناء لصورة أخرى تمثل المطربة التركية آمال أسين وبيدها المجلة التى تحمل رسم هذا الاديب :

صوروه فى رسمه «الكركورى» ... بخطوط بديعة التعبير
غير أن التشويه قد كان أحلى ... فتامل فى وجهه القمطرير
وضعوه فى حجر أنثى حصان ... ليس أهلا لمثل تلك الحجور

وانتقد شاعر آخر سمت أحد الحاضرين ــ وهو ممن تخصصوا فى البحوث البيداغوجية والاجتماعية ، وقد مرت سنوات طويلة على آخر مقال كتبه فى « الفكر » ــ معرضا بجبته ووقاره :

ذا بشير وإنه لنذير ... ينشر السخف حوله ويدير
وتراه فى جبة مثل قس ... يجمع الناس حوله فى الدير
ليقيم الصلاة من بعد كفر ... فهو فيهم كمنكر ونكير
سخفه عوج الروى لدينا ... فجعلنا المضموم كالمكسور

ثم جاء ذكر سرقة أدبية أحدثت ضجة واسعة فى الموسم الماضى بتونس ، فارتجل أحد الحاضرين :

ذلك اليوم كان يوم حداد ... حين ألقت عليه فجر الرماد
لهف نفسى عليك يا أم حفص ... يوم ألقوا قذيفة فى النادى
زعزعت قبر مصلح عبقرى ... نعتوه بالطاهر الحداد
سودت وجهه بفعل قبيح ... من تراه يزيل لون السواد

وأضاف أحد الحاضرين ــ غفر الله له ــ نثرا مسجوعا :

«هو الحداد على امرأة نادى الحداد ، أو رماد فى الفجر ، أو فجر فى الرماد»

وإذ ورد اسم أحد الضيوف الشعراء الى مهرجان ابن رشيق الذى انتظم فى الموسم الماضى بالقيروان فشبهه بأحد إخوانه الحاضرين قائلا :

لقد جاء يوما الى القيروان لكى ينشد الشعر فى المهرجان
شبيه (بمحسننا) العبقرى ولا غرو ، إنهما توأمان

وتوجه آخر بهذا التهديد لاحد الاخوان الذى لم تمض الا أيام قليلة آنذاك على تقلده منصبا اداريا هاما بمدينة سوسة :

لماذا قعدت أمام الوزير وما كنت تعنى بهذى الأمور
إذا أنت لم تدعنا للعشاء بسوسة قبل (أوسو) الحرور
فانا سنكتب كراس هجو ونكتب فيه شنيع السطور
ونجبد كل المزابل طرا فتشتم منها قبيح العطور

وتساءل شاعر آخر لماذا لم ينظم زميله (فلان) قصيدة بمناسبة هذه الذكرى كما فعل فى الذكرى العشرية الاولى ، وقال :

عيد للفكر نخلده قد جاء اليوم يجدده
فى الأول قال قصيدته : (ورسول الفكر محمده)
وسألناه : لماذا أسقطها أ (حصاد الشمس) يبدده ؟
قد كان له عرف يخشاه ترى هل يمدح مسعده ؟

وفى هذا الجو الادبى الملىء بالعفوية والبهجة قضى المحتفلون بذكرى مرور عشرين سنة من حياة مجلة « الفكر » سهرتهم ، ورجوا فى الختام من مدير المجلة أن لا تنقضى عشرون سنة أخرى قبل مأدبة العشاء القادمة ٠

◆ **الدكتور أحمد زكى فى ذمة الله :**

نقلت إلينا أنباء القاهرة نعي الدكتور أحمد زكى رئيس تحرير مجلة « العربى » الكويتية وصاحب العديد من البحوث والدراسات والكتب فى مختلف مجالات العلم والادب ، وقد عاش الفقيد الكبير حياة مليئة بالجهد والنشاط المتنوع الجامع بين العلم والعمل منها انه رأس تحرير مجلة «الهلال» المصرية ، ورأس « الجمعية الكيمياوية المصرية » ، ومنها « عضوية مجمع اللغة العربية » بالقاهرة وغيره من المجامع ٠

والدكتور أحمد زكى يقيم بالكويت منذ سنوات طويلة حيث يتولى اصدار مجلة « العربى » ويرأس تحريرها ، إلا أنه انتقل مؤخرا الى القاهرة عندما ساءت حالته الصحية ، وفيها وافاه الأجل المحتوم ، فعزاء لقراء « العربى » ولأسرة الفقيد ، ولأهل الفكر والثقافة فى العالم العربى ٠

المضلع يموت في قاع الاخطبوط

شعر : التعاونية الشعرية للمؤتمر العاشر للادباء العرب في الجزائر

توضيح : بالفعل ، اشترك في تأليف هذه « القصيدة العصماء » مجموعة من شعراء الجزائر وتونس وليبيا ٠٠ وعددهم سبعة ٠٠ نثبت اسماءهم للتاريخ !! وهم : خليفة التليسي ورجب الماجرى من ليبيا ٠ محمد صالح الجابرى ونور الدين صمود وجعفر ماجد والميداني بن صالح من تونس ٠ ومحمد الاخضر السائحى وعمر البرناوى من الجزائر ٠٠

القصيدة كتبت على غرار الشعر الحديث الرمزى الغامض ٠٠ والذى يعيد جزءا من الكلمة فى نهاية المقطع ٠٠ أو يقحم الدراجة فى الفصحى ٠٠ أو يعطى طلاسم من الصور والتعابير ، وهو فى كل ذلك ٠٠ أى الشعر ــ مغرم بالكلمات المثيرة مثل : الدعارة ٠٠ والعاهرة ٠٠ والبكارة ٠٠ ومضاجعة الاله فوق الشجرة كما جاء فى احدى قصائد المهرجان ٠

قطن مندوف
أم جزة صوف
تتهادى فوق خروف
روفْ
روفْ
روفْ
ويغنى فنان معروف
شوف ٠٠ شوف
قلبى الملهوف
ويغنى ٠٠

الميجنا ٠٠ والاوف ٠٠ والمالوف
رجل مسطول
مهبول على طول
طول
طول
طول
قال الراوى :
« يا سادة ٠٠ يا مادة
يدلنا ويدلكم على الشهادة
حتى تتحقق لكم السعادة

فوق العادة »
معزاة تأكل من شيح الكلب
وكدادة
وحمار يضحك فى البحر
فى الجيد قلادة
فى الرجل وسادة
والذيل :
منشة سلطان بيد القوادة
وينادى الحارس : يا دادة
دادة
دادة
قال الراوى :   دادة
« اطبخ الماء ·· تسيل الرغاوى »
أرقد ماء
اضحك ماء
اقرأ ماء

* * *

يا فارس ·· اسحق ·· وتأطر
« بالريح » تعطر
فى الساحة تمخطر
وتجرجر
فالكلب بلا عين يغدو أعور
والطفل بلا رجل ·· عنتر
والرأس بلا مخ ·· عبقر
والطاس بلا ماء يقطر
طر
طر
طر
يا فارس كهف الليل يموت
فى بطن الحوت
والشمس بكف الأطفال
خبز مفتوت

والثورة أوت
والصمت سكوت
والتمرة توت
والنملة كتكوت
تمشى فى بيت أوهى من بيت العنكوت
معناها العنكبوت
« حوت ياكل حوت
وقليل الجهد يموت »

* * *

قال الراوى فيما قال :
فى الهند الصينية
امرأة ضد الامبريالية
تأكل منها الطير
والغير
عبر مجار أزلية
لو تعرف يا فارس كم يشتاق اليها
الميت بلا اكفان
من أزمان
فى عمان
فى لبنان
فى سيناء وفى الجولان
ومن الخرطوم الى السودان
والاذن قوية
تعشق قبل العين الفضية
فتيات من كوبا واليابان
فى بعض الاحيان

* * *

قال الراوى :
الدنيا الغاز مطوية
اشرح لى هذا اللغز ،
فأنا أتكلم بالرمز :
« الكأس على المنضدة السوداء

والمنضدة السوداء فوق الارض	فهمت اللغز
معناها الكأس فوق الارض	اليوم خمر
والديك الاحمر يأكل دود الارض	....
وكذا نأكل نحن الديك معناها نأكل	وغدا ... خبز .
فأجاب الشعب :	عن مجلة (ألوان) الجزائرية

◆ منشورات مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية :

صدرت عن مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية عدة منشورات تفصح بوضوح عن النشاط الدائب الذى يبذله هذا المركز والاساتذة العاملون ضمنه . وفيما يلى قائمة بما وصلنا من هذه المنشورات :

ـ نشرية المركز رقم 2 من سلسلة علم الاجتماع ، وتتضمن تسجيلا لاشغال ملتقى حول الذاتية الثقافية والضمير القومى داخل المجتمع التونسى ومن محتوياته : خطاب الافتتاح الذى ألقاه السيد رئيس الجمهورية . المهاجرون التونسيون من 1860 الى الحرب العالمية الثانية للاستاذ أم. م. كرو . مؤتمر قصر هلال للاستاذ أ. بكير . الحركة الوطنية وتطور التشريع التونسى للاستاذ م. منصور . كما تضمن القسم الفرنسى من النشرية عدة دراسات أخرى .

ـ المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية فى عدد خاص بالمميزات الثقافية والتصنيع وهو تسجيل للملتقى الثامن للجمعية العالمية لعلماء الاجتماع الناطقين بالفرنسية الذى انعقد فى وقت سابق بالمركز الثقافى الدولى بالحمامات .

ـ تجميع للاعداد 40/41/42/43 من نفس المجلة وقد ساهم فى القسم العربى منها الاساتذة : ج. الجنحانى ، ر. الامام ، م. ح. الهيلة ، ع. التميمى . كما ساهم فى القسم الفرنسى الاساتذة : ع. المحجوبى ، م. الطالبى ، شابوتو ، ت. البشروش ، ع. السعيدى ، خ. الشاطر ، م. كريم .

ـ « مقامع الصلبان » تأليف : أحمد بن عبد الصمد الخزرجى ، حققه وقدم له : عبد المجيد الشرفى . وهذا الكتاب (230 ص) يمثل رقم 1 من سلسلة الدراسات الاسلامية .

الفهرست

العدد 2 ـ نوفمبر 1975 ـ السنة الواحدة والعشرون

الفكر

مجلة ثقافية

تصدر بتونس شهريا
مؤسسها ومديرها المسؤول
محمد مزالى

رئيس التحرير : البشير بن سلامة
سكرتير التحرير : عبدالواحد براهم
ادارة . 13 نهج دار الجلد ـ تونس
تليفون : 200.237
حساب الجارى : 33769 ـ تونس
لعنوان : صندوق البريد 556 ـ تونس

- تصدر مجلة الفكر عشر مرات فى السنة وتحتجب فى شهرى اوت وسبتمبر
- قيمة الاشتراك السنوى :

اشتراك عادى بتونس والبلاد العربية 3 دنانير .
اشتراكات بالخارج 3،500 ثلاثة دنانير ونصف
اشتراك الانصار د 5 دنانير

- الاشتراكات يرسل معلومها فى حوالة بريدية باسم المجلة او يصب فى حسابها الجارى . 337.69 ـ تونس
- الرسائل لا ترد نشرت أم لم تنشر
- المراسلات تكون جميعا باسم مدير مجلة « الفكر » صندوق البريد عدد 556 ـ تونس

El-FIKR - Revue mensuelle culturelle 21° Année N° 2 Nov. 1975

طبع وحفر الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنجى سليم ـ تونس